مكتبتنا العربية

جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ المجلد الثالث والعشرون

١٠٧

مجلة الأزهر

تصدر شهريا عن مشيخة الجامع الأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

المجلد الثالث والعشرون

مدير المجلة
ورئيس تحريرها
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
محمد فريد وجدي بك

الاشتراك السنوى { ٤٠ لمصر والسودان
٥٠ لخارج القطر المصري

ثمن العدد ٤٠ مليما

ادارة المجلة : بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مكتبتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين مطمأن النفس

لما كان العالم الإنسانى فى القرنين النامن والتاسع عشر ، كان الجو العلمى على ما يزينه من شموس وأقمار يأخذ لالاؤها بالأبصار ، مشوبا بغيوم كثيفة من الشبهات فى العقائد التى فيها سلوة الإنسان وعزاؤه على ما يصيبه من قوارع الحدثان فكان كلما أصابته قارعة استقبلها بقلب يعمره الإيمان بأن كل هذه النوازل الحيوية من لوازم الحياة المادية ، فإذا ما انتهى دورها ، وانتقل منها الإنسان الى حياته الروحية ، ارتقى الى عالم منزه من الشوائب ، كله روح وريحان ، وأمن واطمئنان ، لا يزال يرتقى فيه بروحه وشعوره حتى يبلغ من كرامة الوجود مالا يخطر ببال ، ولا يمكن بيانه بالأقوال .

هذه كانت عقيدة العالم كافة الى ما قبل قرنين من الزمان ، فلما انتشر العلم بين الناس بانتشار المدارس ، وتولدت الشكوك والشبهات بتأثير الاكتشافات العلمية ، طرأت زعزعة فى العقائد الدينية ، فكانت كارثة إن استمرت سائدة فى العقول أثرت فى أخلاق الإنسان وأطواره تأثيرا ليس من مصلحة النوع البشرى إهماله ، بل قذفت به الى حالة نفسية ليس من فائدته الإبقاء عليها ، إن لم يكن بسبب تأثيرها فى شخصيته ، فما تولده من فلسفة ليس مما يسمح به الخضوع لها .

نعم إن هنالك فرقا كبيرا بين نفسية من يعتقد أنه حيوان كسائر الحيوانات ، يعيش راتعا فى المأكل والمشرب ، ثم يموت كما يموت حصانه وبعيره ويستحيل الى تراب تطأه الأقدام ، وتذروه الرياح الى كل اتجاه ، وبين نفسية من يعتقد أن حياته وإن كانت قصيرة الأمد لا تتجاوز بضع عشرات من السنين إلا أنه خالد بروحه فى وجود أرفع من الذى يعيش فيه سينتهى إليه ويجد فيه جزاء ما عمل من بر ، وثواب ما بذل من جهد ، أو نشر من علم ، أو هذب من أخلاق ، أو أمات من بدع ، أو أحيا من سنن .

لا شك أن الفارق عظيم بين هاتين النفسيتين ، وتأثيرهما فى توجيه الإنسان لا يخفى على أحد . فقد يعيش عشرات كثيرة من السنين حتى يبلغ أرذل العمر ،

مكتبتنا العربية

ويقل مطعمه ومشربه ، وتضمحل قواه ، وتذبل نضرته ، ويكاد لا يستطيع الحركة ، وتجافيه لذاته وخابه ، بل قد تساوره الأمراض من كل ناحية ، وتؤلمه حركاته الجسدية ، ومع ذلك يفضل أن يبقى فريسة لهذه المنغصات على أن يموت وتنصب على قبره القباب ، ويحيط به الناس من كل جناب . ذلك لأنه ذاق لذة الحياة وأدرك قيمتها ، ويخشى أن يرد بعدها الى العدم !!!

وقد شوهد أن الهلع الذى يعترى النفس من الضعف الذى آلت إليه عقيدة خلود الروح ، كان يشتد لدى بعض الناس حتى ليكاد يقعدهم عن العمل ، ويشل حركتهم الحيوية ، بل ويفضى بهم إلى الموت كمدا . وقد استند كثير من الفلاسفة على هذا الشعور واعتبروه من أدل الأدلة على خلود الروح بعد انحلال الجسد . وصرح رجالات من العبّاد أنهم رأوا الأرواح وحادثوهم كما يتحادث الأحياء سواء بسواء . وجاء العلم أخيرا فصرح بأنه أثبت وجود الروح إثباتا حسيا باستحضارها والتحادث معها ؛ فكان هذا انتصارا حاسما للدين ليس بعده مرمى ، فقد كان العلم الغربى قد اشتد فى إنكار وجود الروح حتى عد القول بذلك خرافة لا يصح أن تبقى إلا عند صغار العقول .

ولم يقف من إثبات وجود الروح عند الحد الذى وقفت عنده الفلسفة ، فتوسع فى مناحيه حتى صرح بأنه توصل الى تجريدها من سلطان الجسد ، والتخاطب معها مباشرة ، وهى الحالة التى تتجلى بها فيما سموه بالتنويم المغناطيسى . وزاد فى فتوحاته العلمية المتعلقة بها حتى أعلن أنه توصل بواسطة التنويم أيضا إلى إخراجها من الجسم فيصير ذلك الجسم فى تلك الحالة كما يكون فى حالة الموت ، مجردا من الحركة ومن التنفس أيضاً ، وتكون هى على بعد منه ، وتثبت وجودها لمتولى هذا البحث بوسائل توجب اليقين لابتنائها على الحس ، على أنها خارج الجسد ، فترى وتسمع وتفهم ، وتأتى من الأعمال المادية بما يثبت وجودها خارج جثمانها اثباتا لا يشوبه شك . وقد أثرت هذه الفتوحات العلمية أعظم تأثير فى العقول فانكسرت شوكة الملحدين ، وخفتت أصواتهم ، وأصبحوا بعد أن كانوا يصيحون هل من مجادل ، يلزمون الصمت حتى ولو دعاهم إلى الكلام داع ، خشية أن يتصدى لهم خصم قوى الحجة ، فيظهر ضعفهم ، ويكشف مستورهم . ولماذا يتحاشى هؤلاء الجدال وقد كانوا من أكثر الناس ولوعاً به واعتماداً عليه ؟ لأن العلم فى تقدمه زاد فى عداد العقد

مكتبتنا العربية

التى لا تحل إلا بافتراض وجود خالق حكيم خلق الخلق على ما هو عليه ، وأقامه على ما اقتضته حكمته من الاصول ، ووجهه التوجيه الملائم له إلى الغايات البعيدة والابداعات التى لا تقف عند حد .

إن من أعجب ما ولدته العقول المريضة من أوهام ووساوس تخيل بعض الناس إمكان قيام هذا الكون بدون قيوم أوجده من العدم ، فيكون الحال أن العقل لا يستطيع أن يدرك أن أية مادة حقيرة يمكن أن توجد بذاتها ، والأستاذ المادى يريد أن يوهم الناس ويجعلهم يصدقون أن العالم كله على ما هو عليه من جلال يقوم بنفسه بدون عقل ينظمه وأنه متع بجميع ما فيه من ابداعات وقوى ونواميس بدون وجود مدبر عليم تولى ايجادها وتدبيرها ؟ أليس من حقنا أن نعجب من هذا التناقض العجيب ، بل الضعف العقلى المعيب . وإننا لنسميه ضعفا عقليا لأن سخفه يكاد ينطق باستحالته ، فكيف يتأتى لشبهة هذا مبلغها من الضعف أن تدحض ما تقضى الخاصة الرئيسية للإنسان بضرورة وجوده ، وأن أى عمل إنسانى مهما صغر وحقر لا يتأتى أن يقوم ويثمر ثمرته المقصودة منه إلا تحت قيادته وتدبيره ؟

نعم إن الأمر جلل ، والعقل الإنسانى لا يستطيع أن يحول إلا فى الممكنات الجزئية التى يعملها بيده ، فلذلك هو يطلق على ما يتعاصى عن إمكانه ، والخضوع لسلطانه من الموجودات صفة المثل الأعلى ، وهو توجيه إلهى ليستطيع تحت حوافزه الأدبية أن يترقى فى أعماله ، وأن يتحرى فى حدود إمكان السبل التى يجب عليه أن يسلكها للوصول من أقرب الطرق إلى أغراضه ، ولهذه الشئون كلها ثمرة جليلة أخرى هى من أرقى مميزاته ، وهى سرعة الإلف للشىء ثم التبرم منه ، والنزوع لتغييره نزوعا لاهوادة فيه ، فتتوافر له تحت هذه العوامل النفسية القوى التى تدفعه للعمل ، والمثل التى تتراءى له ليتخير منها ما يتفق واندفاعه لاختيار الأكمل . فأنت ترى أن حياة الإنسان الأدبية سلسلة تطورات نفسية تبدأ بسيطة ثم تتركب وتتعقد لأجل أن تحال بتفكير المشتغل بها إلى أجزائها خالصة من التعقد ، كاشفة فى الوقت نفسه عن وجوه شتى للأفضل والأكمل .

هذه سيرة الإنسان ، وهذه طريقه إلى مثله العليا ، سائقا العالم معه إلى حياة إنسانية لا سبيل لأى عمل على إدراك حقيقة عواملها ، ومدى شوطها .

محمد فريد وجدى

التفسير
عن
البقرة

لفضيلة الأستاذ الشيخ حامد محيسن
عضو جماعة كبار العلماء

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين »

سبق الكلام على طائفة المتقين وما هم عليه من أوصاف قد جعل الله جزاءها استقامتهم على الجادة وإفلاحهم إفلاحا سيجزون عليه عنده تعالى بالرضى والنعيم .

ثم ثنى بالكلام على الكافرين وما تعمقوا فيه من اعوجاج وضلال حتى استوى عندهم الإنذار وعدم الإنذار . ثم ثلث بالكلام على فريق آخر لا هم بالمؤمنين ولا هم بالكافرين ، بل هم فريق المنافقين الذين أبطنوا كفراً وأظهروا إيمانا ...

ولما كانت تلك الحال المضطربة لا تطمئن فيها حياة ، ولا يستقر فيها عيش ولا يهدأ فيها لأحد بال ، كان الذين يتخذون تلك الحياة القلقة قليلين . ولهذا نرى القرآن قد عبر به عن المتقين وعن الكافرين ، إذ عبر عنهم بما يفيد أنهما فريقان فى المجتمع واضحان معهودان سلك كل سبيله فى الحياة واضحا .

فقوله ومن الناس أى وبعض الناس مما يسترعى النظر ويقف بك مواقف الإعجاب بما ارتقى إليه الكتاب من بلاغة ، فما البلاغة إلا تحديد المراد تحديدا لا يزيد فيه عما أردت شيئا ولا ينقص فيه عما أردت شيئا فإنك إذا قارنت الفريقين الأولين بالفريق الثالث وجدت القرآن قد حدد ببالغ أسلوبه واقع الأمر تحديدا دقيقا . فإن هذا الفريق لم يبلغوا إلا أن يكونوا بعض الناس .

هذا ولما كان المنافقون قد أظهروا إيمانا وأبطنوا كفرا فلم يكونوا بحسب ظاهر الأمر مع الكافرين ولا بحسب باطنه مع المؤمنين رأيت القرآن يجردهم

مكتبتنا العربية

من الوصفين فلا يعبر عنهم بالكافرين . ولا يعبر عنهم بالمؤمنين . بل عبر عنهم بالناس لينطبق التعبير على ما حاولوه لأنفسهم من أنهم لا هم مؤمنون ولا هم كافرون . فانظر كيف قال فى الحديث عنهم « ومن الناس » .

ولما كان هذا المسلك الذى سلكوه لأنفسهم فى الحياة مسلكا مكروها داعيا لحذر الفريقين لهم مما يلفت الفريقين لهم لفتا قويا ، كانوا على قلتهم كالمعهودين المعروفين بذلك المسلك الشائن المحذور . فقال « من يقول آمنا » من التى هى اسم موصول والاسم الموصول يفيد معهودية مدلوله وأن للنفوس شعوراً خاصاً به .

ولما كانوا غير صادقين فى دعوى الإيمان ولم يكن الإيمان قد حل قلوبهم ، ولم يكن الإيمان قد استنارت به نفوسهم . ترى القرآن قد عبر بقوله « يقول » مما يفيد أنه مجرد قول باللسان لا استيقان بالقلوب ولا اطمئنان للنفوس بل هم إنما يقولون بأفواههم ما لا أثر له فى قلوبهم ، ولما كان القرآن كما قلنا لا يترك ما يقصد إليه من معنى دون تحديد لا يدع منفذا يخرج منه شىء مما أريد أو يدخل منه شىء مما لم يرد ، تراه أتبع قوله « يقول آمنا » ما يؤكد أنه قول لم يمس قلوبهم ولم يحل نفوسهم ، وهو ما نفى به عنهم الإيمان ، أى قوله « وما هم بمؤمنين » ولزيادة التأكيد فى أنهم كاذبون فيما يدعون عبر عن نفى الإيمان بجملة إسمية مؤكدة بزيادة الباء فى خبر (ما) مبالغة فى أنهم ليسوا من الإيمان فى ورد ولا صدر .

وإليك لافتة أخرى فى تلك الآية مما يدل على دقة القرآن فى تحديد المعانى تحديداً دقيقا هو مثار الإعجاب ومناط الإعجاز ، فإن هذا الفريق فريق المنافقين الذى يتحدث عنه القرآن لم يستطيعوا لشدة بغضهم لرسول الله أن يخادعوا المؤمنين فى شأنه ، وكل ما غلبوا فيه خبث نفوسهم ، أن خدعوا المؤمنين فى شأن الله واليوم الآخر . فاقتصروا فى مزاعمهم على أن قالوا آمنا بالله وباليوم الآخر ، وتعاصت عليهم ألسنتهم أن يقولوا آمنا بالرسول ولو كذبا وزوراً . وبهذا أبرز القرآن نفسيتهم نحو الرسول الكريم حتى يعرف المؤمنون مبلغ بغضهم لرسول الله .

هذا ويصح فى لفظة (مَنْ) التى فى الآية أن تكون نكرة موصوفة ، وعليه يكون المعنى ، وبعض الناس ناس يقولون آمنا وإن كان جعلها موصولة أدل على أنهم مع قلتهم قد جعلهم ما هم عليه من خبيث الصفات أولى لون خاص ومظهر محدد يستدعى شعور الفريقين بهم شعورا حادا ، فهم إلى العهد الذى يدل عليه الموصول أقرب منهم إلى التنكير ، وبهذا يكون تفسير (من) بالموصولية أرجح منه بالموصوفية .

مكتبتنا العربية

يا لله ولعجائب القرآن : المنافقون على الحقيقة كافرون فهم فريق من الكفار والكفار ناس كغيرهم ، فالمنافقون بهذا الاعتبار فريق من الكفار ، ولما كان حالهم أن أخفوا كفرهم وجردوا أنفسهم ظاهراً من الوصف الذى يجمعهم بطائفة الكافرين ، عبر القرآن عنهم بأنهم بعض من الناس فقط لا هم بالكافرين ولا هم بالمؤمنين ، وفى ذلك مبالغة فى الحط من شأنهم والاحتقار لوضعهم ، فهم لم يخرجوا عن كونهم ناسا فقط ، لم يخرجوا بأوصاف أهل اليمين إلى اليمين ولا بأوصاف أهل الشمال إلى الشمال ، بل بقوا فى منحدر لا يمر بهم سالك الجادة ولا سالك المعوج من الطرق .

وإنما قال : وما هم بمؤمنين ، ولم يقل وما آمنوا ، تعبيراً بالماضى ، ولا لا يؤمنون ، تعبيرا بالمضارع ، بل ترك التعبير بالفعل جانبا ، لأن الذى يحدد المراد هو التعبير بالوصف لأنه للحال ، والذى يراد إنما هو نفى الإيمان عنهم حالا ، أى حال قولهم كذبا (آمنا بالله وباليوم الآخر) . حتى يوافق التعبير بالوصف الجملة التى نفى بها عنهم الإيمان فإنها قد بدئت بواو الحال .

وعلى هذا فأى أسلوب يبلغ مبلغ هذا الأسلوب فى تصغير شأنهم وتحقير أمرهم إذ يعبر عنهم بأنهم بعض وبعض من الناس المجردين عن كل وصف حسن أو قبيح والمنعزلين عن كل طائفة مؤمنين أو كافرين فلا يعرفون إلا بأنهم الذين عهدتم منهم محاولة إخفاء شأنهم وما هم عليه مخادعين الأقوياء بظاهرهم مصادقين الضعفاء بباطنهم لم يستطيعوا اطمئنانا من نفوسهم للرذيلة وارتكانا من قلوبهم للحقارة أن يكونوا إلى هؤلاء أو إلى هؤلاء ، بل كانوا مذبذبين بين ذلك ، وبهذا كان جزاؤهم من الله شر جزاء ، لم يرض لهم ما سيحيق بهم من عذاب أن يكونوا معه فى مستوى فريق الكافرين ، بل سينزلهم بما يستحقون فى الدرك الأسفل من النار حتى يكونوا وقت عذابهم فى مثل ما اختاروا لأنفسهم من أمكنة الخفاء والالتواء ، وما أعظم عدل الله إذ خصهم بشر أنواع العذاب ، فليس أضر بالمجتمع من هذا الفريق من الناس فهم الفاصلون لعرى المودة بين أفراد المجتمع وهم المشعلون لنار الفتنة بين الناس هم على الجملة المفسدون للعلاقات ، المؤذون دون اتخاذ الاحتياط ، فاللهم احفظ المجتمع شر هؤلاء ، وطهره من أمثالهم حتى يستقيم الحال ويطمئن البال .

مكتبتنا العربية

الأزهـــــر

الجامعة القديمة ـ الحديثة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد الله دراز

عضو جماعة كبار العلماء

تعريب المقال الفرنسي الذي أنشأه فضيلته إجابة لرغبة وزارة الخارجية المصرية، لنشره في جريدة «الموند» الباريسية في عددها الخاص بمصر، بمناسبة انعقاد الدورة السادسة لجمعية الأمم المتحدة في باريس (ديسمبر ١٩٥١ — يناير ١٩٥٢).

— ٣ —

رسالة الأزهر خارج النطاق المدرسي

أما بعد، فإن أبدع طابع تمتاز به الجامعة الأزهرية، ليس هو أنها قد جمعت في تعليمها بين هذين العنصرين الروحي والزمني، اللذين نراهما منفصلين في سائر الجامعات؛ بل ميزتها الكبرى هي أن الميدان الذي تتدفق فيه حيويتها يتجاوز كل حدود التعليم والتثقيف، ويرتقي إلى دور من أهم الأدوار في توجيه حياة الجماعة.

إن رسالة الأزهر على الجملة، إنما هي امتداد لرسالة الإسلام؛ ألا وإن الإسلام ليس مجموعة مبادىء نظرية تغرس في الأذهان وحسب، وإنما هو قوة دافعة خلاقة، غايتها أن تنظم السلوك الإنساني تنظيما فعليا، طبقاً لأسمى المثل وأسلسها قياداً على التنفيذ العملي. فليس يكفيه إذاً أن يبين هذه المبادىء دون أن يسهر على تطبيقها... هذا التطبيق لا يخص سلوك الفرد في نفسه، أو في أماكن عبادته وكفى؛ لأن قانون الإسلام، الذي هو موضوع التطبيق، لا يعرف هذا الفصل بين الدين وشؤون الحياة، بل إن قواعده العملية تمتد إلى جميع ميادين النشاط الاقتصادي والأخلاقي، في حياة الفرد، والأسرة، والأمة؛ بل في حياة الجماعة الإنسانية كلها.

غير أن هاهنا سؤالا يثيره هذا البيان:

ترى هل في الإمكان أن يوضع جهاز لتنفيذ هـــذا القانون الشامل في ذلك

مكتبتنا العربية

الميدان اللانهائى ؟ هل يستطيع أحد أن يتصور هذا الرقم الخيالى لذلك العدد من جنود الفضيلة (بوليس الآداب) اللازم للسهر على تحقيق هذه المبادىء فى كل مكان ؟

لقد حل الإسلام هذه المشكلة من أقرب الطرق وأيسرها . ذلك أنه عهد إلى جميع أفراد الجماعة بمهمة هذه الرقابة ، وجعلها فى الوقت نفسه رقابة متبادلة ؛ إذ خوّل لكل فرد حقاً ـ بل ألزمه فرضاً ـ أن يبذل نصحه للآخرين ، وأن يعارض ويقاوم بقوله وفعله كل من سولت له نفسه أن يرتكب ظلما ، ولو كان هو الرئيس الأعلى .

غير أنه ضماناً لنجاح هذا التدخل ، ومنعاً لاحتمالات اللبس وللأخطاء الضارة فى تطبيقه ، جعل هـذا السلطان الأدبى ـ المخوّل مبدئياً للجميع ـ حقاً بالأولوية لأولئك الذين نالوا قسطا كافيا من المعارف النظرية والعملية ، وكانت لهم بذلك أهلية خاصة لاستعمال هذا السلطان .

من أجل ذلك عنى الأزهر ـ إلى جانب تكوينه لأسرة التدريس ـ بتخريج جماعة من المصلحين الاجتماعيين ، ليكونوا فى صلة دائمة بالشعب ، ويتجهوا إليه بإرشاداتهم فى كل مناسبة . ولدى الأزهر منهم الآن أكثر من ٢٨٠ واعظا ، موزعون توزيعا متناسبا بين العاصمة وسائر الأقاليم . وإن « العدالة » و « الأمن » لمدينان أعظم الدين لجميل نصائحهم التى يوجهونها إلى الجماهير ، وإلى الأسوة الحسنة التى يقدمونها لهم فى سيرتهم الشخصية ، وإلى طرق الإصلاح التى يمدونها لهم فى المنازعات ، كما تشهد بذلك السجلات الرسمية .

وفى الوقت نفسه نجد فى الأزهر لجنة دائمة من العلماء تتلقى المكاتبات من كل سائل ، عما أشكل عليه من أحوال السلوك وشؤون المعاملات ، وتجيبه بما يزيل شبهته ، وينير له السبيل السوى .

* * *

ومن وراء ذلك كله ـ وفوق كل هذه الخدمات الجليلة ـ يتمتع الأزهر بسلطة معنوية أكثر عمقا ، وأبعد حدودا ، يستعملها فى توجيه السياسة العامة ، لا فى مصر وحدها ، بل فى سائر البلاد الإسلامية . وها هنا أيضا لا تعوزنا الشواهد لإبراز هذه الحقيقة . فلقد أتى على عرش مصر لحظة من الزمن ، فى سنة ١٨٠٥ م . كان

مكتبتنا العربية

فيها يبدو متردداً بين « خورشيد » و « محمد على » . فكان الثقل الذى وضعه نفوذ الأزهر هو الذى رجح كفة الميزان فى جانب محمد على ، ووضع الباب العالى أمام الأمر الواقع فى اختياره والياً على مصر . وفى سنة ١٩١٩ كان الأزهر هو المنبر الذى ارتفع منه أقوى صوت فى المطالبة بالغاء الحماية الانجليزية ، وكان حرم الأزهر هو المهد الذى ولدت فيه الوحدة التى لا تنفصم عراها بين أقباط مصر ومسلميها ، لإحباط الدسائس البريطانية التى حيكت للتفريق بين العنصرين .

أما نفوذ الأزهر فى الأقطار الإسلامية فليس من نوع ذلك النفوذ الغامض البعيد ، الذى يتمتع به الأزهر بفضل مهابة اسمه وجلال مركزه فحسب ؛ بل إن له فى تحقيقه وسائل حية ، وأدوات ناطقة . نعم ؛ أليس للأزهر ممثلوه فى أقطار الإسلام ، ولتلك الأقطار ممثلوها فيه ؟ أو ليس هؤلاء الممثلون من الجانبين هم حلقة الاتصال المتبادل الذى يحفظ وينمى هذه العلاقات الوثيقة بين الطرفين فى مختلف النواحى الثقافية والأدبية والروحية ؟

فأما من أحد الجانبين ، فإن الدول الإسلامية (العربية منها وغير العربية) لا تفتأ تلتمس من الأزهر فى كل عام ، عددا من علمائه ليبصروا شعوبها بحقائق الإسلام ، أو ليكونوا أعضاء فى هيئات التدريس فى جامعاتها ومعاهدها ، ولا يسع الأزهر إلا أن يرحب دائما بندائهم فلا يرد لهم ملتمساً . وقد بلغ الآن عدد المندوبين من علماء الأزهر فى خارج القطر ٧٥ مدرسا فى الأقطار الممتدة من جزائر الفيليبين إلى مملكة ليبيا . بل إن الدول الغربية قد أفادت من نظام الانتداب المذكور ، سواء لتغذية جامعاتها ، أو لإدارة مراكز الاسلام الثقافية فيها . وها نحن أولاء نرى من أساتذة الأزهر مندوبين بالفعل فى « لوندره » و « واشنطن » و « سان فرانسيسكو » ، وقد نرى قريبا وصول هذا المدد إلى « باريس » أيضا ... لم لا ؟

ونعود الى الأقطار الإسلامية فنقول : إن صلتها الوثيقة بالأزهر تقوم — من جهة أخرى — على تلك الألوف من شباب المتعلمين الوافدين منها ، والذين يتبناهم الأزهر فيطبعهم بطابعه ، ويصنعهم على طرازه . وإن الحفاوة التى يقدمها لهم لمفعمة بأنواع الكرم والضيافة . فهو يؤويهم بالمجان ، ويمنح كلا منهم شهريا مقدارا من المال كافيا لمعيشته ؛ وعلى الرغم من زيادة عددهم عاما بعد عام ، فإن هذه المرتبات يجدونها مكفولة لهم على الدوام ، بفضل المكارم السامية التى يتحلى بها الفاروق ،

مكتبتنا العربية

حيث يكمل كل عجز فى ميزانيتهم بما يمنحه جلالته من جيبه الخاص ؛ وفضلا عن ذلك فإنه يدعوهم الى موائده الملكية لتناول طعام الإفطار فى شهر رمضان . كما أن الجامعة تهيء لهم فى أثناء العام رحلات مدرسية بالمجان الى الأماكن الأثرية ومعالم السياحة ، وتعد لهم فى الصيف مقاما هادئا على شواطىء البحر فى الإسكندرية . وفى نهاية دراستهم تمنحهم شهادات ينتفعون بها عند عودتهم ، لا فى التدريس فحسب ، بل فى مختلف المناصب فى بلادهم . ولقد بلغ عدد هؤلاء الضيوف فى هذا العام أكثر من ثلاثة آلاف طالب ، هم سفراء الأزهر غداً الى بلادهم . فإذا سارت الأمور على هذا المنوال لم تمض بضع عشرات من السنين حتى يكون الأزهر قد جعل من جميع الشعوب الإسلامية أمة واحدة متجانسة فى ثقافتها ، كما هى متجانسة فى عقيدتها وآدابها .

* * *

على أن الرسالة الحقيقية للأزهر لن تتحقق على وجهها الأكمل إلا إذا تجاوزت حدودها الإقليمية فى الشرق الإسلامى ، وأسمعت صوتها من وراء تلك الحدود .

نعم إننا اليوم - وقد تنازعت العالم قوى متناحرة ، وآراء متنافرة ، قد عجزت أطرافها أن تلتقى عند حد وسط يوفق بينها ، وقد أخذت فى صراعها تسرع بنا الخطا نحو الكارثة الكبرى - أقول إننا اليوم لفى أمس الحاجة إلى قوة ثالثة تتسم بطابع التعادل والتوازن ، لا عن طريق التلفيق بين عناصر متناكرة ، بل عن طريق وحدة طبيعية متماسكة ، يأتلف فيها عنصرا المادة والروح ، وتتساند فيها مطامح المنفعة وعواطف الإيثار ، وتتعانق فيها حرية الفرد وسلطان الدولة ، وتندرج بها المصالح القومية فى نطاق الرحمة الإنسانية العالمية ؛ وبالجملة فإننا اليوم فى أشد الحاجة إلى تلك الحكمة الشرقية الإسلامية ، التى يعد الأزهر خير ممثل لآدابها .

ويوم يتمكن الأزهر من أن يصوغ هذه السياسة الرشيدة فى أسلوب واضح سائغ محدَّد ، ويتيسر له من الوسائل ما ينشر به هذه المبادىء فى الميدان العالمىّ ، ويبدى فيه المعسكران المتصارعان فى الوقت نفسه من حسن النية وقوة العزيمة ما يجعلهما يصغيان إلى ندائه الحكيم - يومئذ يكون لنا أن نتحدث بحق وصدق عن « السلام الشامل » و « الأمن العالمى الكامل » لا حلماً من نسج الأوهام ، ولكن حقيقة حية صالحة للبقاء ؟

مكتبتنا العربية

مركز المسلمين فى العالم

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى

المفتش بالأزهر

إن العالم تتنازعه الآن قوتان عظيمتان ، كلتاهما تعمل على توطيد سلطانها ، وتمكين مبادئها وأفكارها فى ربوعه ، ولم يعد خفياً على أحد أن هذه الأحوال المضطربة ، وهذه الظلمات التى تغشى الناس ، وهذه المخاوف التى تملأ نفوسهم ، وتحير عقولهم ، وتفسد عليهم أمورهم ؛ إنما ترجع إلى هذا التنازع العنيف بين هاتين القوتين ، وحرص كل منهما على أن يكون لها السلطان فى الأرض ، والأمر النافذ الذى لا مرد له فى مختلف شئونها .

وقد سخرت موارد العالم كلها وجميع قواه المادية والمعنوية لإذكاء نيران هذا التنازع الخطير الذى يكاد يودى بالبشر ، ويعصف بجميع الحضارات والمدنيات ، فعبئت الجيوش والأموال ، والصناعات والزراعات ، والمواهب والأفكار وسائر الجهود فى كلا المعسكرين ، وصار العالم فى كل ناحية من نواحيه موطناً للشقاء والبؤس والحرمان ، والخوف والفزع ، وبدت فيه مشاكل لم تكن من قبل ، وهددته أخطار كان فى أمن منها ، وأصبح قادته ومفكروه وعلماؤه فى حيرة من أمرهم ، يدركون وخامة العواقب ، وينادون إخوانهم محذرين ، ولكن أحداً لم يستمع إليهم ، ولا يعبأ بهم ، والمسلمون فى مختلف شعوبهم وأوطانهم يقفون من هذه الأحداث والأخطار موقف الحائر الوجل الذى لا يدرى ماذا يفعل ، ويرى فى كلتا الجهتين خطراً يهدده ، وشراً يوشك أن ينزل به .

وحُق للمسلمين أن يخافوا ويتوجسوا فقد وقفوا أنفسهم فى العصور الأخيرة عصور الضعف والتخلف والتقاطع والتخاذل ـ موقف من لا رسالة له ، ولا فكرة لديه ، فقد جعلهم الله أمة وسطاً بأن آتاهم شريعة سمحة لا ترى إلى استخلاص

مكتبتنا العربية

الإنسان لحياة الرهبنة والانقطاع ، ولا تسمح له بأن يكون مادياً بحتاً لا ينظر إلى الأمور إلا بين الأثرة والشهوة الخاصة ، وجعلهم هكذا ليكونوا شهداء على الناس ، أى قوة عاملة مؤثرة فى توازن العالم بين هاتين النزعتين . ولكنهم بدل أن يكونوا هذه القوة العاملة المؤثرة ، رضوا لأنفسهم أن يعيشوا موجهين ترسم لهم خططهم ، ويلقى إليهم بها كى ينفذوها ، ويسيروا على منهاجها ، وبهذا صاروا ذيولا لا رءوساً ، وخيمت عليهم الذلة بعد أن كانت لهم العزة ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

يقول الله عز وجل « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . ويقول عز اسمه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » فقد أسند فى هاتين الآيتين فلاح الأمة وخيريتها إلى كونها موجهة إلى الخير والحق ، عاملة على تركيزهما فى العالم ، داعية إلى المعروف ، ناهية عن المنكر . فإذا كان هذا هو شأن الأمة وواقع أمرها فى حياتها ، كان لها أن تطمئن إلى أنها خير أمة ، وأن تطمئن إلى « الفلاح » الذى وعدها الله به فى الدنيا والآخرة ، وإن كانت الأخرى فهى أمة ضئيلة لا وزن لها ولا مكان فى العالم . وهى من الخاسرين .

إن العالم كله وحدة متشابكة المصالح والمنافع ، مثله كمثل حوض ملىء بالماء تسبح فيه أنواع من الأسماك ، فإذا تغير هذا الماء بالتعطن أو الفساد أو عرضت له برودة أو سخونة أو غير ذلك ، فإن هذا لا يعرض لفريق من الأسماك دون فريق ولكنه يعرض للجميع ، ويؤثر فى الجميع ، وقد أرسل الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بدين عام هو نور وهدى للناس أجمعين ، ولم يكن مما جرت به سنة الله أن يحفظ بشراً فيؤتيه الخلد حتى يخلد محمدا ليدعو إلى دينه جميع الأجناس فى جميع الأجيال « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » ، ولهذا كان المسلمون خلفاءه على هذا الدين العام الخالد ، عليهم أن يبلغوه ، وأن يؤدوا أمانته فى كل عصر ؛ ولكل قوم وأن يجعلوه فكرتهم ومنهاجهم ، ودعوتهم التى يدعون إليها أرباب العقول ، ويعملون على صبغ الحياة بلونها ، وإجرائها على نسقها ، فإن هم قصروا فى ذلك

مكتبتنا العربية

أو نكصوا عنه ، فقد خانوا أمانة الله ورسوله ، وخانوا أمانة التكافل الإنسانى الذى يعتبر عهدا فطرياً بين أبناء آدم ، وقد عرّضوا أنفسهم لألوان النكبات والمصائب التى لا تصيب الذين ظلموا خاصة ، ولكن تصيب الساكتين عليها كما تصيب مقترفيها « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين) . « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصـــة واعلموا أن الله شديد العقاب » .

* * *

بيد أن الداعى إلى الهدى والرشاد يجب أن يكون مهديا راشدا . فقد ألف الناس أن ينظروا إلى أشخاص القائمين بالدعوات قبل أن يستمعوا إلى ما يقولون ، فان رأوهم مؤمنين بها إيمانا عمليا يبدو فى أعمالهم قبل أن يبدو فى أقوالهم كانوا سراعا إلى إجابتهم وتلبية دعوتهم ، وان رأوا فى مظهرهم وأحوالهم ما ينافى دعوتهم قالوا : لو كانوا صادقين لكانوا عاملين ، أو قالوا : لو كانت مبادؤهم تفضى إلى الخير والسعادة والصلاح لكانوا أخياراً سعداء صالحين . وبهذا تنصرف النفوس عنهم ، أو على الأقل تصعب عليهم مسالك الإقناع بدعوتهم فيحتاجون إلى أن يقولوا - كما يقول المسلمون الآن - : لا تنظروا إلى أعمالنا وأحوالنا ، ولكن انظروا إلى شرعتنا ودينا ، كأن العالم كله مؤلف من فلاسفة منصفين محصين يستطيعون أن يفرقوا بين القول والقائل ، والدعوة والداعى .

لهذا يجب أن يبدأ المسلمون بإصلاح أنفسهم ، وأن يعودوا إلى حياتهم الأولى حين كانوا أمة واحدة مؤمنة عاملة ناصبة تقول الحق وتهدى بإذن الله إلى صراطه المستقيم .

تقطعت الأمة الإسلامية شعوبا ، وصار كل شعب يفكر فى أحواله الخاصة ، ويرسم سياسته فى معزل عن سائر الشعوب الإسلامية الأخرى . بل صار الشعب الواحد أحزابا مختلفة متناحرة يضرب بعضهم بعضا . ويتبادلون التهم والظنون ،

مكتبتنا العربية

حتى أهل الدين والعلم نراهم متقاطعين متباعدين ، ترى أحدهم يحل شيئاً والآخر يحرمه ، وترى كل واحد منهم يزعم لنفسه ولمن اتبعه أنه هو الذى يفهم الإسلام فهما صحيحاً ، وأن فلانا وأتباع فلان ضالون أو مضلون إلى غير ذلك مما صورنا أمام الامم بهذه الصورة التى جعلت أحد المستشرقين الأوربيين يقول لأحد شيوخ الأزهر : أى المبادىء الإسلامية التى تدعون إليها ؟ أهى المبادىء التى كان يدعو إليها الشيخ محمد عبده ؟ أو هى المبادىء التى يدعو اليها الشيخ يوسف الدجوى ، أو هى مبادىء الشيخ الظواهرى أو مبادىء الشيخ المراغى أو مبادىء الأخوان المسلمين ، أو مبادىء أنصار السنة . . الخ

نعم إن هذه مغالطة ومجادلة ، لأن الدعوة إلى الاسلام إنما هى الدعوة إلى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فى الكتاب والسنة وأصول التشريع الصحيحة ، وما هؤلاء الرجال إلا علماء ومفكرون فى دائرة هذه الشريعة ، لهم أن يختلفوا أو يتفقوا ولا يدل اختلافهم على اختلاف الحق وما شرعه الله ، ثم إنهم لم يختلفوا على الأصول التى بها صلاح العالم ، ولكن لكل منهم وجهة هو موليها فيما لا يضر فيه الاختلاف ، ولا يؤثر فى الصلاح والإصلاح . فقول هذا المستشرق مغالطة ومغالبة بالباطل . ولكنى أنظر اليه من ناحية واحدة هى أنه استعان على مغالطته بما رآه بيننا من عنف وحدة فى الخلاف جعلا كثيراً من أهل العلم يتقاذفون ويتنابزون بالألقاب ، ويسرفون فى تجريح بعضهم بعضا ، وقد كان الخلاف بين العلماء من قبل هادئا عفا لا يخرج بالمختلفين عن دائرة الحجة والبرهان فحولناه إلى عصبيات وأحزاب ذات أنصار وأعداء ، لا همّ لهم إلا أن يحتربوا ويتبارزوا فى خوض معركة التجهيل والتضليل ، بل التفكير أحيانا ، فكانت النتيجة الحتمية لذلك أن يزهد الناس فى علم الدين ، وظنوا بعلمائه الظنون ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

ومجال القول فى حاجة المسلمين وأهل العلم منهم إلى الاصلاح فسيح ، وأسباب ذلك وآثاره معروفة واضحة ، وإنما ينقصنا العمل والتآزر فيه ، والتعاون الذى أمرنا الله به ، وأن نكون قوامين بالقسط شهداء لله ، فمتى نكون كذلك .

مكتبتنا العربية

أبو زيد الدبوسى

المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

لفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الله المراغى

مدير المساجد بوزارة الأوقاف

يهتم الباحثون فى تاريخ المجتمعات البشرية بدراسة الأشخاص البارزين والأفذاذ المصلحين الذين ربطوا حياة المجتمع بحياتهم ، وبثوا فيه من روحهم وعزمهم وتفكيرهم وقوتهم ونشاطهم . وهم يقولون إن من أفراد المجتمع ، من يعدون كالأصفار الموضوعة على يسار الأعداد ، فهى لا تفيدها زيادة ولا نقصا ولا تؤثر فيها ارتفاعا ولا انخفاضا ، وهذه النظرية التى دعم قواعدها علماء الاجتماع ، وعلماء التاريخ والتطور والارتقاء ، يمكننا أن نجعلها أساسا فى تاريخ العلوم والفنون والمخترعات والمكتشفات ، بل يمكن اعتبارها أساسا فى كل مرفق من مرافق الحياة فكل ناحية من نواحى بناء المجتمع ينبت فيها أفراد يؤثرون تأثيرا واضحا فى علم من العلوم أو فى مخترع من المخترعات فينسب ذلك العلم إليهم ويشتهر بهم .

وقد اخترت أحد هؤلاء الأفراد النابهين تنطبق عليه تلك القاعدة إذ نسب إليه علم من العلوم نشأ على يديه وأعنى بذلك علم الخلاف والجدل الذى ابتكره أبو زيد الدبوسى . فهو أبو عبيد الله بن عمر بن عيسى القاضى الدبوسى نسبة الى دبوسية بفتح الدال المهملة وضم الباء الموحدة وبعدها واو ساكنة وسين مهملة . وهى بلدة بين بخارى وسمرقند وإليها نسب جماعة من العلماء .

وقد تفقه على أبى جعفر الاستروشنى ، وله فى الأصول كتاب الأسرار وكتاب تقويم الأدلة ، وكتاب الأمد الأقصى ، وكان آية فى النظر واستخراج الحجج ، وقد ضرب به المثل فى شدة عارضته وإفحامه لخصومه فقد روى أنه ناظر يوما بعض الفقهاء فكان كلما ألزمه أبو زيد إلزاما ، وألجمه إفحاما ، وأعجزه إعجازا ، تبسم

مكتبتنا العربية

أو ضحك مكتفيا من إقامة الحجة ، وإظهار قوة الجنان وحضور البديهة بتلك الحركة الآلية اللسانية . فأنشد أبو زيد فى ذلك :

مالى إذا ألزمته حجة قابلنى بالضحك والقهقهة
إن كان ضحك المرء من فقهه فالدب فى الصحراء ما أفقهه

وما جاء ابتكاره عن طريق المصادفة وعفو الخاطر ، ولكن ابتكاره جاء نتيجة للظروف العلمية والجدل المنطقى الذى نشأ فى العصرين الرابع والخامس من التاريخ الهجرى . فى الوقت الذى قام فيه كل فريق يدافع عن مذهب إمام من الأئمة . وقد حمى وطيس الجدل واشتد إواره على الأخص بين الحنفية والشافعية ، ففتح ذلك الجدل بابا لهذا العالم الجليل . فأخذ يضع القواعد ويؤسس الأسس ويقيم الدعائم لعلم الخلاف . ولا بد لنا هنا من الرجوع إلى الوراء قليلا لنرى كيف نشأ علم أصول الفقه . وكيف احتاج هذا العلم إلى علم الخلاف ليكون حارسا أمينا على قواعد أئمة المذاهب التى استندوا إليها فى استنباط الأحكام الفقهية . فما لا خلاف فيه بين العلماء أن الإمام الشافعى واضع علم الأصول ، ونسبته إليه كنسبة علم المنطق إلى ارسطاطاليس وكنسبة علم العروض إلى الخليل بن أحمد . فقد أملى الشافعى رسالته التى جعلت كمقدمة لما املاه من كتاب (الأم) .

وافتتح الرسالة بذكر البيان وتعريفه ثم قسمه إلى بيان قرآن وبيان سنة وبيان اجتهاد . (وهو القياس) ثم ذكر العام والخاص فى القرآن وبين العام الباقى على عمومه والعام الذى دخله الخصوص ثم تعرض لبيان منزلة السنة من الكتاب ثم تعرض للناسخ والمنسوخ ، وتعرض لأبحاث تتعلق بالأحاديث المروية وبيان درجاتها فى الاحتجاج كما تعرض للاجماع والاستحسان . وغير ذلك من الابحاث التى جعلت كحجر الزاوية لهذا الفن . وقد أخذ العلماء يشرحون رسالة الشافعى ، فشرحها أبو بكر محمد بن عبد الله الشيبانى الجوزقى النيسابورى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ والإمام محمد بن على القفال الكبير الشاشى المتوفى سنة ٣٦٥ هـ وأبو الوليد حسان ابن محمد النيسابورى القرشى الأموى المتوفى سنة ٣٤٩ هـ وأبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفى المتوفى سنة ٣٣٠ هـ كما شرحها غير هؤلاء .

وقد كان لهذه الشروح مشربان مختلفان ومسلكان متباينان : مسلك المتكلمين ومسلك الفقهاء . فنزع كل فريق منهم المنزع المناسب لفنه ، فعنى الفقهاء بجانب الاستنباط والتفريع وعنى المتكلمون بما توحى به مباحث علم الكلام من التقعيد للقواعد والتأصيل للأصول . ويحدثنا فى ذلك ابن خلدون فى مقدمة تاريخه فى باب أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات . فيقول وكان أول من كتب فيه أى فى علم أصول الفقه الشافعى رضى الله تعالى عنه أملى فيه رسالته المشهورة تكلم فيها فى الأوامر والنواهى والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد ، وأوسعوا القول فيها وكتب المتكلمون أيضا كذلك إلا أن كتابة الفقهاء أمس بالفقه وأليق بالفروع لكثرة الأمثلة والشواهد فيها وبناء المسائل على النكت الفقهية والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون إلى الاستدلال العقلى ما أمكن لأنه غالب فنونهم ومقتضى طريقتهم . وكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن وجاء أبو زيد الدبوسى من أئمتهم فكتب فى القياس بأوسع من جميعهم وتمم الأبحاث والشروط التى يحتاج إليها فيه . وقد فصل ابن خلدون طريقة المتكلمين وبين المؤلفين الذين نهجوا هذه الطريقة .

ونكتفى فى هذا المقال بما ذكرناه عن ابن خلدون متصلا بطريقة الحنفية فى الأبحاث الأصولية وينفسح أمامنا المجال لبيان فضل أبى زيد الدبوسى فى تأسيس علم الخلاف الذى جمع زبدة أفكاره فى هذا العلم فى كتاب سماه « تأسيس النظر فى اختلاف الأئمة فى علم الجدل والخلافيات » .

وبالرجوع الى خطبة هذا المؤلف نتبين منها الباعث الذى حدا بأبى زيد الى أن ينصب نفسه منشئا لهذا العلم ومبتكرا له إذ يقول : لما رأيت تصعب الأمر فى تحفظ مسائل الخلاف على المتفقهة . وفقهم الله تعالى لمرضاته وتعسر طرق استنباطها عليهم وقصور معرفتهم عن الاطلاع على حقيقة مآخذها واشتباه مواضع الكلام عند [illegible] فيما [illegible] فى كتابى هذا أحرفا إذا تدبر الناظر فيها وتأملها [illegible] عنايته الى ترتيب الكلام [illegible]

مكتبتنا العربية

وتقوية الحجج فى المواضع التى عرف أنها مدار القـول ومجال التنازع فى موضع النزاع فيسهل عليهم تحفظها ويتيسر لهم سبيل الوصول الى عرفان مآخذها . فأمكنهم قياس غيرها عليها وذلك أنى لمـا نظرت فى المسائل التى اختلف فيها الفقهاء وجدتها منقسمة الى أقسام ثمـانية ، ثم ذكر الأقسام ، ويظهر فضل أبى زيد واضحا جليا فى كتبه الأصولية كما يظهر فى فتاواه وغيرها من الأبحاث الفقهية وحيث تعرضنا فى هذا المقال لواضع علم الخلاف والجدل ، فيجمل بنا أن نلم إلمـامة عاجلة بهذا العلم فنرى فى مقدمه ابن خلدون تعريفا لعلم الجـدل إذ يقول : هو معرفة آداب المناظرة التى تجرى بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم .

فإنه لمـا كان باب المناظرة فى الرد والقبول متسعا وكل واحد من المناظرين فى الاستدلال والجواب يرسل عنانه فى الاحتجاج ومنه ما يكون صـوابا ومنه ما يكون خطأ ، فاحتاج الأئمة الى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها فى الرد والقبول ، وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا وحين يكون معترضا ومعارضا وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الـكلام والاستدلال ، ولذلك قيل فيه أنه معرفة القواعد من الحـدود والآداب فى الاستدلال التى يتوصل بها الى حفظ رأى أو هدمه سواء أكان ذلك الرأى من الفقه أم من غيره ، ثم ذكر مسلك الفقهاء ومسلك المنطقيين وبين حدود وآداب كل من المسلكين .

وبهذه الصورة المصغرة لنشأة علم الخلاف وبيان آثاره فى العلوم الفقهية ، وغيرها من أنواع الجدل يتبين فضل مترجمنا . ويتبين أنه علم من أعـــلام فقهاء الاسلام الذين كان لهم رأى يتلخون عنه ويبرهنون على إثباته بجنان ثابت وعقيدة راسخة وحجة دامغة . وقـــد كانت وفاة أبى زيد ببخارى سنة ثلاثين وأربعمائة من الهجرة ؟

مكتبتنا العربية

الجهـــــاد خير كله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الوهاب
المفتش العام للوعظ بالأزهر

قال الله تعالى فى محكم كتابه وهو أصدق القائلين : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا . وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علىّ إذ لم أكن معهم شهيدا ، ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيما . فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما » .

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، إن العزة الغالية ، والمجد العتيد ، هدفان ، تهفو اليهما كل أمة تحرص على وجودها ، وتستمسك بكرامتها ، وتوثق من عراها :

تحرص على وجودها فى حيوية مشبوبة ، وفتوة مرهوبة ، ومعنوية مدعمة البنيان ، صادقة الوجدان .

وتستمسك بكرامتها فى لغة السيف والقلم ، حاملة علم الحق ، ومدوية بدعوة الحق .

وتوثق من عراها برأب الصدع ، وجمع الشمل ، والتكتل فى ميدان الجهاد ، موحدة الصفوف ، قوية الجبهة ، ناصعة الغرض .

والله جل جلاله ، الذى يريد المؤمنين أعزة فى صولة الحق ، أقوياء فى ظفر الجهاد ، يناديهم ليتخذوا الأهبة ، وليكونوا على حذر ، وليتبصروا أسباب الظفر ، فيكون نفيرهم للجهاد حسب ما تقتضيه عوامل النصر والغلب ، فإن رأوا أن يكون الغزو فى جماعات ، وهو المعروف فى لغة الحروب ، بحرب العصابات ، كان نفيرهم كتائب موزعة بين الأمكنة والأزمنة ، فى ساعات من ليل أو نهار ، فإن فى ذلك اقلاقا للعدو ، وتوزيعا لجبهته ، وتوهينا لقوته .

مكتبتنا العربية

وإن رأوا أن يكون الغزو فى جمع حاشد ، وجند كثير ، وعدة قاهرة ، فلينفروا كذلك ليشتد الأزر ، ويقوى الساعد ، ويرهب العدو ، ذلكم نداؤه عز شأنه : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات » يعنى جماعات متفرقة سرية بعد سرية « أو انفروا جميعا » يعنى مجتمعين حشدا واحدا ، وبنيانا مرصوصا . فالقرآن يهتف بالمؤمنين : أن يلبسوا لكل حالة لبوسها ، وأن يعدوا لكل ظرف ما يناسبه .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يخرجون لملاقاة العدو فى كتائب ، كما كانوا يخرجون فى جيوش عامرة زاخرة ، ومن أمثلة خروج الكتائب ما حدثنا به التاريخ الإسلامى عن خروج عبد الله ابن عتيك وأصحابه لقتل أبى رافع اليهودى ، وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه ، وهو الذى حزب الأحزاب يوم الخندق وكان ممن أعان غطفان وغيرهم من بطون العرب بالمال الكثير على رسول الله .

روى البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبى رافع اليهودى رجالا من الأنصار ، فأمّر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان فى حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا من الحصن ، وقد غربت الشمس . وراح الناس بسرحهم - يعنى رجعوا بمواشيهم ، فقال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم ، فانى منطلق إلى الحصن ، ومتلطف للبواب ، لعلى أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجة ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : ان كنت تريد أن تدخل فادخل فانى أريد أن أغلق الباب ، وقد ظن البواب أنه من أهل الحصن ، قال عبد الله : فدخلت فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق - المفاتيح - على وتد ، قال : فقمت إلى الأغاليق فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمر عنده وكان فى علالى ، يعنى كان الناس يجلسون معه فى المساء للحديث والمسامرة ، وكان فى غرفة من داخل غرف الحصن فى أعلاه ، فلما ذهب عنه أهل سمره ، صعدت اليه ، فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت على من داخل قلت : ان القوم نذروا بى - علموا بى - لم يخلصوا إلى حتى أقتله ، فانتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم لا أدرى أين مكانه . فقلت : أنادى ... فاذا أجاب النداء ، عرفت

مكتبتنا العربية

موضع الصوت ، فأضرب بسيفى ، فناديت يا أبا رافع ، فقال : من هذا ؟ فأهويت بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئاً . . وصاح ، فخرجت فمكثت غير بعيد . . ثم دخلت اليه فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع ، فقال لأمك الويل أن رجلا بالبيت ضربنى قبل بالسيف ، فقال فأضربه ضربة أثخنته ، ولم أقتله ، ثم وضعت ظبة السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره فعرفت أنى قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهيت إلى درجة له ، فوضعت رجلى ، وأنا أرى أنى قد انتهيت إلى الأرض فوقعت فى ليلة مقمرة ، فانكسرت ساقى ، فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته أم لا . فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلقت إلى أصحابى ، فقلت النجاء فقد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال لى أبسط رجلك فبسطت رجلى فمسحها ، فكأنها لم أشتكها قط .

أفرأيتم أيها المسلمون هذا المثل الرائع فى الاقدام الحازم ، وفى براعة الحيلة ، وفى الظفر بالعدو لمرضاة الله ورسوله .

ولقد يكون بين المقاتلين جند يتثاقلون ويتباطؤون ويتخلفون عن الصفوف رهبة وخوفا أن تراق دماؤهم وتزهق أرواحهم ، فإن أصاب المسلمين هزيمة أو قتل فرحوا أن لم يكونوا معهم ، وإن فتح الله على المقاتلين بالنصر والغلب ، وأفاء عليهم من فضله بالأسلاب والغنائم تمنوا أن لو كانوا فى صفوفهم ظافرين غانمين ، فذلكم قول الله تعالى : « وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيما » .

وهؤلاء ليسوا من صدق الجهاد ، ولا من قوة العقيدة ، ولا من سلامة الإيمان فى شيء . ولعل آية التحذير السابقة فى قوله تعالى « خذو حذركم » توقظ فى المؤمنين قوة الانتباه لهؤلاء ليحذروهم كما يحذرون الأعداء .

« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة » ليقاتل فى سبيل الله المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة ، ولا يكن منهم تردد ولا بطء ولا [illegible] المضطربون مرضى القلوب ، وضعاف

مكتبتنا العربية

النفوس . أو استرخى فى الكفاح حفنة من الناس مدخولة ضمائرهم ، زائغة عقائدهم ، زائغة إرادتهم ، فليقبل الثابتون ، وليقدم المخلصون ، وليظفر بنصر الله الأعزة الغالبون ، ففى سبيل الله ما يبذلون من أنفس ودماء وفى سبيل الله ما يلاقون من تضحية وابتلاء ، وفى سبيل الوطن ما يقدمون وما يفتدون . وما يجادلون ويجاهدون « ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما » .

هذا وعد الله الصادق الذى لا يتخلف للمجاهدين المخلصين فإنهم إن قتلوا فلهم الشهادة ، وما يتبعها من حياة عند الله ، فيها عزة وفيها رضوان ، وفيها رزق طيب كريم .

« ولا يحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . وإن عادوا ظافرين ، فلهم عزة الغلب ، ونصرة الوطن ، وإعلاء كلمة الله .

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مثل المجاهد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ـ كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة ، وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« والذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم فى سبيله ـ (يعنى يجرح) إلا جاء يوم القيامة واللون لون دم ، والريح ريح المسك » وعن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضى الله عنه قال « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها » .

أما بعد ، فإن هذا التوجيه الحكيم من العزيز الحكيم ، ومن المجاهد الأول سيدنا رسول الله ، ليهيب بالمؤمنين أن لا يضعفوا ولا يستكينوا ، وأن يثأروا لدينهم ولوطنهم بالبذل والتضحية ، فذلك أسمى كرامة ، وأهدى سبيلا .

والله الموفق . . والمستعان .

مكتبتنا العربية

من أدب القوة :

الشعر والحروب الصليبية

لفضيلة الأستاذ الشيخ رياض هلال

المدرس بكلية اللغة العربية

— ٣ —

ويقول صاحب النجوم الزاهرة أيضاً . ويعجبني قول البارع كمال الدين على ابن النبيه في مدح مخدومه الملك الأشرف لما حضر مع أخيه المعظم إلى دمياط :

للذة العيش أفراح وأوقات　　فانشر لواء له بالنصر عادات
دمياط طور ونار الحرب موقدة　　وأنت موسى وهذا اليوم ميقات
ألق العصا تتلقف كل ما صنعوا　　ولا تخف ما حبال القوم حيات

ونجد ابن النبيه قد استغل قصة موسى في حديثه عن نصر الأشرف موسى أعظم استغلال ، فتحدث عن الطور والنار والميقات ، كما تحدث عن العصا والحبال والحيات ، وهذا اهتبال من الشاعر للفرصة السانحة من تسمية الممدوح موسى وحربه للكفرة وانتصاره عليهم . وتلك عادة شعراء هذا العهد وهجيراهم ، ونجده عاد بذاكرته إلى يوم صفين وفصّل ما ألحق ممدوحه بأعدائه من صنوف التعذيب وألوان الخذلان من قتل وسلب وسبي وغير ذلك مما كان ناراً محرقة على الكفر وهي على الإسلام جنات قال :

تذكروا يوم صفين وما لقيت　　من حد سيفك عرفا والقليعات
قتلا وسبياً وأسراً وانتهاب ثرى　　لله كم أحسنت تلك الإساءات
شنتها غارة كالنار محـــرقة　　للكفر وهي على الإسلام جنات
لله من ثغر دمياط وبرزخها　　فتح له تفتح السبع السموات

وقد سجل ابن عنين الشاعر المجيد في هذا العهد ذلك النصر الرائع حين امتدح الأشرف أيضاً وذكر بلاءه فيه حين قال :

مكتبتنا العربية

قسما بما ضمت أباطح مكة وبمن حواه من الحجيج الموقف
لو لم يقم موسى بنصر محمد لرقى على درج الخطيب الأسقف

ويردد هذا المعنى نفسه فى قصيدة أخرى فيقول :

لولاك لانتقضت عرا الإسلام فى مصر وأخمل ذكره وتبدلا
وتحكمت فيها الفرنج وغادرت أعلاجها محراب عمرو هيكلا
لقد اتقيت الله حق تقاته ونهجت للناس الطريق الأمثلا

ولا يكتفى ابن عنين بالحديث عن يوم دمياط فى مديحه للأشرف موسى غير مرة بل يعود فيبرزه فى رثائه للمعظم عيسى ويقول :

لولا دفاعك بالصوارم والقنا عن حوزة الإسلام عاد كما بدا
وديار مصر لو ونت عزماته عن نصرها لتحكمت فيها العدا
ولأصبحت خيل الفرنج مغيرة تجتاب ما بين البقيع إلى كدا

وأى نصر هذا الذى لو ونى عنه المعظم عيسى وهو فى مصر لأغارت خيل الفرنج ما بين البقيع إلى كدا وهما فى مدينة الرسول عليه السلام ؟ ثم أى نصر هذا الذى يشغل ابن عنين عما انطبعت عليه نفسه من حب للهجاء وإيثار له ؟ والحق أنه كان لبنى أيوب مواقف إسلامية تلهج ألسنة الشعراء بالثناء والمدح ولو كانوا لا يسيرون فى ركابهم ولا يدينون بملكهم وليس أدل على ذلك من حديث عمارة اليمنى وهو الشاعر الفاطمى الذى يذكر من أسباب قتله رثاؤه للفاطميين بقصيدته التى يقول فيها :

رميت يا موت كف المجد بالشلل وجيده بعد حلى الحسن بالعطل

يذكر لبنى أيوب هذه المنقبة ويسجلها لهم فيقول :

من شاكر والله أعظم شاكر ما كان من نعمى بنى أيوب
طلب الهدى نصرا فقال وقد أتوا حسبى فأنتم غاية المطلوب
جلبوا إلى دمياط عند حصارها عز القوى وذلة المغلوب
وجلوا عن الإسلام فيها كربة لو لم يجلوها أنت بكروب

مكتبتنا العربية

وهكذا نجد الشعراء تفاعلوا فى الحديث عن يوم دمياط ودفع الكفر عنها وما كان يدفعهم إلى ذلك إلا العاطفة الدينية التى أخذت شكلا واضحا عنيفا فى عهد الأيوبيين .

* * *

ولعل بيت المقدس قد لقى من عناية الشعراء حظا وافرا لا يقل عن حظ دمياط إن لم يرب عليه لأنه كان - وما يزال - محط أنظار الفرنجة ومهوى أفئدتهم ، ولعلى مستطيع أن أعرض للقارىء الكريم ، صورة واضحة عن هذا الاحتفال العظيم من الشعراء بفتح بيت المقدس ، والذود عن القبلة الثانية للمسلمين فأقول : لما فتح صلاح الدين بيت المقدس فى سنة ٥٨٣ هـ فرح المسلمون فرحا عظيما كاد ينسيهم كل شىء . وجلس السلطان بالمخيم ظاهر القدس للهناء ولقاء الأكابر والعظماء ، وأخذ الشعراء ينشدون ويستنشدون وهم وقوف ، من ذلك ما قاله ابن الساعاتى مهيبا بالشعراء أن يتقاولوا فلا عذر لهم ، وقد أصبح مكان القول ذا سعة بعد فتح بيت المقدس وترى الشاعر يرجع بذاكرته إلى عهد عمر بن الخطاب ، فيتمنى لو شهد خليفته صلاح الدين كيف أبلى فى سبيل الله . قال :

أعيا وقد عاينتم الآية العظمى ؟ لاية حال نذخر النظم والنثرا
وقد ساغ فتح القدس فى كل منطق وشاع الى أن أسمع الأسل الصما
حبا مكة الحسنى وثنى بيثرب وأطرب ذياك الضريح وما ضما
فليت فتى الخطاب شاهد فتحها فيشهد أن السيف من يوسف أصمى
وما كان إلا الداء أعيا دواؤه وغير الحسام العضب لا يحسن الحسما
وأصبح ثغر الدين جذلان باسما وألسنة الاغماد توسعه لثما
سلوا الساحل المخشى عن سطواته فما كان إلا ساحلا صادف ألما

وترى ابن الساعاتى يعيد الحديث عن بيت المقدس ويذكر فضل صلاح الدين فى الذياد عنه واستجابته الى شكايته التى طال عليها الأمد دون أن يجد من تدفعه نفسه المؤمنة الى الأخذ بناصره غير صلاح الدين . استمع إليه يقول :

مكتبتنا العربية

عصفت به ريح الخطوب زعازعا فلقين طودا لا تخف أناته
هو منقذ البيت المقدس بعدما طالت ـ فما وجد الشفاء ـ شكاته
بيت تأسس بالسكون وإنما عند الزحاف تحركت سكناته

ونجد الشاعر أبا على الجوينى المقيم بمصر يردد هذه الشكوى فى قصيدة له اشتملت على ذكر ملوك الإسلام وإهمالهم بيت المقدس تسعين عاما حتى تجرد له صلاح الدين وفتحه ، وجاء فى أول هذه القصيدة قوله :

جند السماء لهذا الملك أعوان من شك فيهم فهذا الفتح برهان
هذى الفتوح فتوح الأنبياء وما لها سوى التكر بالأفعال أثمان
أضحت ملوك الفرنج الصيد فى يده صيدا وما ضعفوا يوما وما هانوا

وبعد أن عرض لكثير من الملوك الذين أصموا آذانهم فلم يستمعوا إلى هذه الشكاية ، مضى إلى غرضه من تلبية صلاح الدين لهذه الدعوة ، وغلا فذكر أن هذا الفتح لو كان فى عهد النبى صلوات الله عليه لكان له الشرف الأسنى بنزول القرآن فيه فقال :

فالآن لبى صلاح الدين دعوته هو المعوان معوان
لو أن ذا الفتح فى عصر النبى لقد تنزلت فيه آيات وقرآن

ولم يقف حديث الشعر عن فتح بيت المقدس عند الشعراء المصريين والشاميين بل تجاوزهم إلى شعراء الأندلس ، فلابن جبير الأندلسى شعر فى صلاح الدين يهنئه فيه بهذا النصر فيقول من قصيدة مطلعها :

أطلت على أفقك الزاهر سعود من الفلك الدائر

ومنها :

كسرت صليبهمو عنوة فلله درك من كاسر
وأدبر ملكهمو بالشآم وولى كأمسهم الدابر
فتحت المقدّس من أرضه فعادت إلى وصفها الطاهر
وجئت إلى قدسه المرتضى فخلصته من يد الكافر
وأعليت فيه منار الهدى وأحييت من رسمه الداثر

فأما العماد الأصفهانى كاتب صلاح الدين وشاعره والذى حضر معه أكثر حروبه ، فله فى وصف غزواته قصائد كثيرة ، وقد كان لفتح بيت المقدس منها نصيب وافر وحظ عظيم ، من ذلك قصيدته التى بدأها بقوله :

أطيب بأنفاس تطيب لكم نفسا   وتعتاض من ذكراكمو وحشتى أنسا

وفيها :

فلا يستحق القدس غيرك فى الورى   فأنت الذى من دونهم فتح القدسا
وطهرته من رجسهم بدمائهم   فطهرت بالرجس الذى ذهب الرجسا

وهى قصيدة طال فيها نفس العماد وأطاف فيها بكثير من فتوح صلاح فى طبرية وعكا وصيدا وغيرها ، وأشعار العماد فى بيت المقدس وغيره من فتوح صلاح الدين كثيرة كثرة مدائحه له ولأبنائه ؟   للبحث تكملة

ذخائر وذكرى

أوصت امرأة عوف بن محلم الشيبانى ابنتها حين احتملها زوجها الحارث بن عمرو فقالت :

أى بنية : إنك فارقت الجو الذى منه خرجت وخلفت العش الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا فكونى له أمة يكن لك عبدا وشيكا .

يا بنية : احملى عنى عشر خصال تكن لك ذخراً وذكرا ، الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح والكحل أحسن الحسن والماء أطيب الطيب المفقود والتعهد لوقت طعامه والهدوء عنه عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة ، والاحتفاظ ببيته وماله والإرعاء على حشمه وعياله فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره وإن عصيت أمره أوغرت صدره ، ثم اتقى [illegible] الفرح إن كان ترحا والاكتئاب عنده إن كان فرحا [illegible]

مكتبتنا العربية

تنظيم الحرب والسلام

الأستاذ الدكتور محمود فياض

المدرس فى كلية أصول الدين

— ٢ —

٣ — يجب أن تعقد المعاهدة عن رضى واطمئنان ، واختيار تام من طرفى العقد ، وألا يصحب عقدها ضغط ، أو يشوبها إكراه مادى أو معنوى ، فإذا جدت ظروف ساعدت غير المسلمين على فرض معاهدة على المسلمين ، تحت ضغط السلاح أو فى ظل قهر الظروف المحيطة بالمسلمين مثلا ، وأرغم المسلمون على قبولها لذلك . فمن حقهم إذا زالت الظروف القاهرة ، بل من واجب المسلمين إذا أنسوا من قوتهم أن يفسخوا هذه المعاهدة . كما حدث بين أمير المؤمنين معاوية والروم . إبان الحرب الأهلية بين أمير المؤمنين على وأمير الشام معاوية ، وضغط ظروف الحرب الأهلية على معاوية ، الأمر الذى حمله على أن يصالح الروم على مال سنوى يدفعه إليهم ، فلما خلص الأمر لمعاوية ، واستقامت أموره ، والتفت حوله الأمة ، ألقى الى الروم بعهدهم ، وجالدهم على السيادة ، وذلك لأن هذا العهد مع ما شرطه للروم من جزية على المسلمين يناقض أصلا من أصول الإسلام ، وهو العزة والسيادة التى أوجبها الله للمؤمنين ، وإذا كانت الضرورة قد أكرهت معاوية على قبول هذه الذلة ، فالضرورة تقدر بقدرها ، وإذ لا ضرورة فلا رخصة ، وقد وجب الرجوع الى الأصل ، ويلحق بهذا أمر آخر وهو إذا انتهز العدو فرصة ضعف للمسلمين فهاجمهم واحتل أرضهم ، وأملى عليهم شروطا تحت ضغط السلاح ، وأكرههم على قبولها بأسنة الحراب ، فمن واجب المسلمين متى شعروا بقوتهم ، أن ينبذوا هذه المعاهدة ، لأن الرضى والاختيار ، ضروريان لصحة المعاهدة ، وشرطان للوفاء بالتزاماتها ، فإذا انعدما وقعت باطلة . وعلى هذا فكل معاهدة تكون نتيجة لقسوة ظروف المسلمين ، أو التى تمليها قوة عسكرية على المسلمين ، تقع باطلة غير واجبة

مكتبتنا العربية

الاحترام ، والوفاء بها مؤقت وفسخها واجب عند تقوى المسلمين ، وتقدير ذلك يرجع الى أهل الحل والعقد من المسلمين .

٤ — يجب أن تكون المعاهدة واضحة النصوص فى تحديد التزامات كل من المتعاقدين ، وأن تكون ألفاظها مفهومة للطرفين محددة المعانى باتفاقهما ، حتى لا يكون هناك مجال للخديعة بالتأويل والتخريج فيذهب كل منهما فى ذلك المذهب الملائم لمصالحه فحسب ، وعلى هذا فكل معاهدة يشوبها غموض ، يفسره كل طرف تفسيرا مغايرا لتفسير الآخر ، تقع باطلة ، فإذا جاء نص أو كلمة غير محددة المعنى والمفهوم ، وأمكن فهمها على غير وجه واحد ، كالألفاظ المرنة التى نسمعها اليوم مثل ، توقع الخطر . توقع حرب مفاجئة . خطر الحرب . حالة حرب محتملة ، دفاع مشترك ، ترقية المتأخرين أو المساعدة على التمدن ، والوصاية للنضج والتأهل لحكم نفسه ، وغير ذلك من العبارات التى لا يضبط معناها ضابط ، ولا تخضع لمفهوم واحد محدد عند الجميع - إذا جاء نص أو كلمة من هذا القبيل فى معاهدة أبطلها ، لأن النص فى المعاهدة يوجب التزاما ويرتب أحكاما ، ولا يمكن فرض الالتزام ، وترتيب الأحكام ، على نص محتمل (مرن) يذهب الناس فى معناه كل مذهب .

٥ — إذا عاون المعاهد عدوا للمسلمين ضدهم ، بأى نوع من المعونة مادية كانت أو أدبية ، فقد نقض المعاهدة ، وذلك كما إذا قدم المعاهد لعدو المسلمين سلاحا أو رجالا ، أو سهل له المرور إلى أرض المسلمين ، أو شجعه بالقول ، أو حرضه أو حسن له العدوان على المسلمين ، أو أمده بمعلومات عن المسلمين وعن قوتهم ، أو أطلعه على عورة من عوراتهم أو اطلعه على أمر ، أى أمر لا يعرفه العدو ، من الأمور التى يمكن للمعاهد معرفتها عن المسلمين بمقتضى معاهدته . وأمن جانبه . كل فعل من هذه الأفعال نقض المعاهدة ، والمسلمون بعد ذلك فى حل من حرمته ، وقد أفتى الامام الاوزاعى رضى الله عنه والإمام الليث بن سعد رضى الله عنه بذلك استنادا إلى صريح القرآن وفتوى لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد سئل الإمام الاوزاعى عن حكم الله تعالى : « فى قوم صالحوا المسلمين . ثم أخبروا المشركين بعوراتهم ، ودلوهم عليها » فقال : [illegible] إليهم . إن كانوا أهل ذمة فقد [illegible] الوالى قتل وصلب ، وإن كانوا صلحا [illegible]

مكتبتنا العربية

(معاهدين) لم يدخلوا فى ذمة المسلمين نبذ إليهم الوالى على سواء . ، فأن الله لا يحب الخائنين » . ولما اشتكى أمير حمص عمير بن سعد بن عبيد الأنصارى لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب : أن أهل عربسوس - وهى بلدة كانت بين المسلمين والروم فى الشام - يطلعون الروم على عورات المسلمين ، ولا يظهرون المسلمين على شيء من عورات الروم (يتجسسون لحساب الروم على المسلمين) وأنه لا يدرى ما يفعل بهم وقد عاهدهم . فأمره عمر أن يعرض عليهم أخذ ضعف مملكاتهم فيها ويرحلون عنها . فإذا رفضوا أمهلهم سنة ثم أجلاهم عن بلدتهم وخربها وعرضهم بعد ذلك[1].

وأنه ليعجبنا ويطربنا الفقيه المصرى الامام الليث بن سعد عندما استفتى فى أمر أهل قبرص الذين يوادون الروم ، ولا يتوقع المسلمون منهم الوفاء بالعهد . فقد أفى بنبذ العهد وطرحه طرح النواة من الفم بقوة إعلانا لقوة المسلمين بمجرد الاتهام وتوقع الغدر لأن الله يقول : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء » ولم يمل لا تنبذ إليهم حتى تستيقن خيانتهم وغدرهم ، مع عدم مبادرتهم بالحرب قبل إعلان النبذ وفسخ المعاهدة ، والسر الذى حمل الإمام المصرى على الفتوى بإعلان فسخ المعاهدة لمجرد اتهام المعاهد . هو أن المعاهد بحكم الأمان وما تفرضه المعاهدة قد يطلع على مالا يمكن للعدو أن يطلع عليه عن أسرار المسلمين . فإذا حامت الريبة حوله ، أو بدى منه التودد لعدو المسلمين ، فأنه حينئذ يصبح غير مأمون ، وبالتالى يصبح المسلمون معرضين لخطر أفشاء أسرارهم لأعدائهم ، ولهذا وجب عليهم فسخ هذه المعاهدة التى تجر عليهم الأخطار ، دفعا للخطر عنهم ، وحرصا على كيانهم ، والأخذ فى إعداد ما يواجه الظروف المحتملة[2] ، أى مجرد التشكك فى نوايا المعاهد وسلوكه موجب لفسخ عهده .

ويقول الفقهاء بعد ذلك : إننا إذا نبذنا عهد الخائنين أو المتوقع خيانتهم ، وجب علينا إمهالهم من غير هجوم أو مداهمة حتى يبلغهم نبأ الفسخ ويتمكن رئيسهم من إبلاغ ذلك إلى أطراف مملكته إن أوجب الفسخ حربا ، والغرض من ذلك الترفع بالمسلمين عن الغدر والخيانة وأخذ العدو على غرة وهو آمن لمعاهدته ، ثم إعطاؤه فرصة كافية يتمكن فيها من التروى والمشاورة عسى أن يثوب ويتوب ،

(١ ، ٢) فتوح البلاذرى ص ١٦٠ - ١٦٤

مكتبتنا العربية

ويجنح إلى السلام ، أو يلقى المسلمين وهو عالم بانكشاف أمره وخيانته ، فيكون ذلك من أسباب ضعفه فى الميدان ، ومن عوامل النصر للمسلمين .

هذه شروط يجب تحققها فى كل معاهدة ، ولا تكون المعاهدة ملزمة للمسلمين ولا يجب الوفاء بها واحترامها إلا إذا تحققت فيها هذه الشروط . وسواء فى ذلك أكانت المعاهدة منشئة لحالة السلام كأن تكون بعد هزيمة العدو فى حرب مع المسلمين ، أو مع عدو لم يهزم فى الحرب ولكن طلب منا السلام ، أو أجابنا إليه أو كانت المعاهدة امتدادا لحالة السلام . كان تكون مع قوم لم يحاربوا المسلمين ، ورغبوا فى السلام مع البقاء على دينهم ردفعهم الجزية . والأصل فى هذه الشروط النصوص القرآنية التى أشرنا إليها عند كل مناسبة ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » .

وبعد . فقد رأيت أيها القارىء كيف يعنى الإسلام بالدعوة الى السلام ، وكيف أنه لم يدع بابا يوصل الى السلام ، والمحبة بين بنى الانسان . إلا وقف به ، ودعا الناس إليه ، ثم رأيت كيف نظم حالة السلام وأقامها على أسس قويمة تضمن للمسلمين سيادتهم وعزتهم فى بلادهم ، وعرفت رأيه فى المعاهدات التى تنظم السلام كما عرفت غايته منها ، والشروط التى يراها واجبة للوفاء بالمعاهدات ، وفى الكلمة الآتية أحدثك عن حالة الحرب ، وأصولها ونظمها فى نظر الاسلام ، والله يهدينا الى سواء الصراط وبه نستعين .

من كلامه صلى الله عليه وسلم

من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين . نعم الرجل الفقيه فى الدين : إن احتيج اليه نفع ، وإن استغنى عنه أغنى نفسه .

لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا .

مكتبتنا العربية

من جهادنا الماضى :

الفـــدائيون (١)
والمشاكل الدولية

لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم على شعوط
المدرس بكلية اللغة العربية

كانت عجلات الزمان تقطع أشواطا بعيدة فى مسيرها ، والليالى تمضى سراعا ، وأحداث التاريخ تتدافع تدافع السيول من قنن الجبال حتى تلبد شعور الناس ، وخمد إحساسهم بما هم فيه من مكروه .

واستيقظ أهل بغداد فى مستهل عام ٦٥٦ هـ ليجدوا حصارا محكما ضرب حول ديارهم وقد أصدر « هولاكو » زعيم المغول أوامره باستعمال العنف والقسوة للإرهاب والتخويف ليحقق لأهل العراق ما عرفوه عنهم من بأس وشدة ، ووحشية صارخة فى القضاء على الأمم والشعوب .

ولم تكن إلا ليال حتى سقط الخليفة المستعصم العباسى قتيلا بأيدى البغاة ، ومرت يد الزمن بالممحاة لتطمس اسم بغداد من حواضر العالم الإسلامى ؛ فأصبحت عاصمة دولة وثنية قبضت على زمام الأمور فى العراق بأيد من حديد ، وعفى الزمان على تاريخها المجيد . ولمع اسم « هولاكو » حاكم دولة المغول فى العراق على صفحات التاريخ : وقد أطل على العالم الإسلامى من هضاب أرمينية فوقع فى نفسه أن يفتح هذه البلاد مبتدئا بالشام ومصر حتى يفرغ من جميع القوى الإسلامية الموجودة فى ذلك الحين .

وكانت مصر والشام تحت سلطان المماليك الذين أثبتوا لأنفسهم بطولة فذة ، وخلدوا على صفحات التاريخ أنهم أول من استطاع هزيمة المغول فى الشرق والغرب ، وأظهروا لأوربا أنه من الممكن التغلب على تلك الوحوش الضارية بعد أن سبتها الرعب هناك فمهد لها تسلم البلاد من السكان المذعورين .

---

(١) راجع رسالة كاتب المقال وموضوعها (علاقة المماليك فى مصر بالمغول فى فارس)

مكتبتنا العربية

وبعد أن أصبح للمغول دولة وثنية فى العراق تاخمت حدود الدولة المصرية فى أراضى الشام كان لابد من وقوع نضال دام مرير فى حرب ضروس تكمن فى نتائجها الحاسمة الغلبة لأى الفريقين وافتتح عهد النضال فتكسرت النصال على النصال فى مواقع ، عين جالوت ، بين ، كتبغانوين ، قائد جيوش المغول من قبل ، هولاكو ، وسيف الدين ، قطز ، سلطان المماليك ، ، وأبلستين ، بين ، البغا ، ملك المغول فى العراق والسلطان الظاهر ، بيبرس ، ثم ، مرج الصفر ، بين ، غازان ، والناصر محمد بن قلاوون .

وكل هذه المواقع كانت فى جانب المماليك على المغول ، وكانت تحدث أحيانا مواقع تظهر فيها قوة مغول العراق على سلاطين مصر مثل موقعة ، وادى الخزندار ،

واستمر النضال عنيفا بين الدولتين نيفا وستين عاما دون أن تحدث الموقعة الحاسمة فيقضى على أحد الخصمين ؛ ومل الفريقان طول العداء والبغضاء . واستنفد كل منهما جميع الأساليب ، وضروب الحيل فى إلحاق الهزيمة بغريمه حتى لقد دخل المغول فى الإسلام ليكسبوا عطف المسلمين فى العراق فلا يكون هواهم دائما مع المصريين . ثم حاولوا أن يجعلوها حربا دينية ليتصروا على سلاطين مصر والشام .

ولكن كل ذلك لم يحقق الهدف الذى قصدوا إليه ، وطال الزمن بالعداء والبغضاء بين الدولتين ، وبذل المصريون ما فى وسعهم لتوجيه الضربة القاضية ليطردوا هؤلاء القوم من أرض العراق فطال بهم الزمن كما طال بالمغول ، وكان لا بد من عمل حاسم يكفل النصر ويؤدى إلى الهدف المقصود ؛ فلم يكن هذا العمل مما يحدث فى ميادين القتال من اعداد العدة ، والاحتفال بالحشود الجرارة فى لقاء الأعداء ، وإنما كان عملا يهدف إلى القضاء على الرءوس المدبرة ، وقتل الرجال الأكفاء الذين لهم شأن فى دولة المغول اغتيالا بأيدى الفدائيين الذين وطنوا أنفسهم على الاستشهاد فى سبيل هذه الغاية .

وإنما عرف الفدائيون بهذه التسمية لأن كل واحد منهم جعل حياته فداء لفكرة اختمرت فى ذهنه فآمن بها إيمانا يسعده الموت فى سبيلها ، سواء كانت فكرة وطنية أو دينية أو اجتماعية .

وقد جرت العادة فى الأمم القديمة والحديثة أن يلجأ إلى نظام الفدائيين بعد استنفاء جميع الوسائل فى التغلب على الخصوم ، أو العجز عن الحصول على الحقوق المهضومة .

مكتبتنا العربية

وذلك لأن الفدائى وحده إذا وفق فى مهمته يفعل ما لا يفعله جيش جرار بعتاده وأسلحته ، لأن الجيش يمكن الاحتراس منه بدفعه ومقاومته ، ويمكن العلم بتحركاته وتجمعاته فيتخذ الاحتياط بما يفسد على العدو خططه ، ويحبط تدبيره ولكن تحركات الفدائيين خفية ويمكن كتمانها ، ومن السهل أن تظل سراً مكتوما لا يصل إلى الأعداء مهما طال الزمن لأن قلة العدد والتفانى فى سبيل الفكرة ، وبذل الحياة رخيصة للقضاء على العـــدو ، كل ذلك يجعل فتك الفدائيين بالأعداء لا يحتمل .

والفدائية ذات أساليب شتى لا تكاد تحصى لأنها ترجع إلى النهج الذى يضعه الفدائى لنفسه فى خدمة القضية التى يعمل لها ، فتارة يجد الفدائى أن طريق الفتنة والتفريق بين صفوف الأعداء هو أنجع ضروب الفدائية ، كما فعل نعيم بن مسعود رضى الله عنه حين اتخذ أسلوب الإيقاع بين قبائل العرب فى موقعة الأحزاب ، فكان بعمله هذا فدائيا بارعا ، وتارة يبدو للفدائى أن طريقه الوحيد هو المغامرة بحياته دون سلاح كما فعل الزبير بن العوام فى فتح مصر حين ألقى بنفسه من سور حصن بابليون على حامية فى الداخل ليوقع الذعر فى نفوس الحراس فيحملهم على التسليم فكان بهذا من أبرع الفدائيين .

والتاريخ الإسلامى غنى بهذه المثل ممن باعوا أنفسهم فى سبيل الله ليخلدوا تاريخهم على صفحات الزمن .

وفى العصور الحديثة نجد أن الدول الصغيرة المستضعفة التى كانت هدفا للاستعمار والاستغلال حين عجزت عن مقارعة الجيوش ومنازلها فى ميادين الحرب المنظمة لجأت إلى حرب العصابات ونظام الفدائيين . ووجدت أن هذا النوع من المقاومة والمناضلة هو ما ينبغى أن يلجأ إليه ضعيف عاجز أمام قوى غاشم ، وأدركت أن سر نجاح الفدائيين فى تقريب آماد الخلاف بين الدول المتحاربة هو أن يمد إلى تهديد الرءوس المدبرة والقادة الذين بيدهم مصاير الأمور فى حياتهم وتعتمهم فى حصونهم ومخابئهم ، والوصول إليهم من وراء الحجب الغليظة ، والعيون الساهرة ، والحراس شاكى السلاح ، وهم بيدهم وحدهم إعطاء الحق لذويه ، فطالما كانوا فى حرز من سهام الفدائيين وفى مأمن من العدوان على حياتهم ، فهم يقذفون

مكتبتنا العربية

بالجنود فرقا وكتائب إلى ميادين القتال لتقضى على حركات المقاومة وتقتل الروح الوطنية فى مهدها كلما حاولت عن نفسها دفاعا .

ولقد عرفت مصر فى القرون الوسطى نظام الفدائيين ، واستغلته فى حروبها مع المغول رغم انتصار جيوشها فى كثير من المعارك الحربية حينذاك ، ولكنها ملت التمادى فى الحروب وسئمت التعبئة العامة فى كل حين فعمدت إلى أسلوب الفدائية باستخدام جماعة من الفدائيين لتحقيق الهدف والوصول إلى الغاية .

ونظام الفدائيين فى تلك العصور كان محصورا فى جماعة الاسماعيلية الذين كانوا يدربون على هذا النوع من الحروب فى حصن الموت ، وقلعة مصياف فى شمال العراق وأرمينيه ، ويعرضون أنفسهم بعد ذلك على الدول المتحاربة لتقديم الخدمات والقيام بأدوار هامة فى الأحداث التاريخية فى تلك العصور .

ورغم انتصار المماليك انتصارا باهرا فى معركة « تل شقحب » المعروفة « بمرج الصفر » فى مطلع القرن الثامن الهجرى فان هذا النصر لم يحمل حكام المغول فى العراق وفارس على مسالمة المصريين ، والخضوع للأمر الواقع فأخذوا يعدون أنفسهم للقاء جديد ، ويستقبلون بالتكريم كل متمرد على الدولة المصرية من أمراء المماليك ، أو من عرب آل مهنا وآل فضل المتاخمين للشام والعراق .

وتعقدت الأمور ، واشتدت المشاكل ، وبدت فى الأفق البعيد عثبات كأداء فى طريق الصلح بين الدولتين ، فكان لابد لسلاطين مصر من تقصير هذا الطريق بإلقاء الرعب والفزع فى قلوب المدبرين لدولة أبى سعيد بالعراق وتهديدهم فى حياتهم داخل قصورهم وبين يدى حراسهم الأقوياء .

ونحن ننقل عن كتاب السلوك للمقريزى[1] أن الناصر محمد بن قلاوون أرسل فى عام ٧٢٠ هـ ثلاثين فدائيا ممن دربوا تدريبا كاملا على إصابة الهدف فى الهجوم الخاطف بالخناجر والسيوف ، وأجادوا فنون التنكر فى أزياء مختلفة إلى العراق لاغتيال الأمراء الفارين من مصر والقضاء على حياة السلطان أبى سعيد بن خدابندا ونواب الدوله وكبرائها ليحملهم على تحقيق أغراضه . فلما اشتهر أمر الفدائيين فى عاصمة العراق ، وعرف أنهم حضروا من مصر لقتل السلطان أبى سعيد ونائبه الأمير جوبان ووزيره « على شاه » ، والأمير قراسنقر الذى فر من مصر وكان عينا على

(١) السلوك ج ٢ - ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

مكتبتنا العربية

المصريين فى العراق . وقع الرعب والذعر فى قلوب القوم واضطربت أعصابهم فكلما أمعنوا فى الاحتياط ، وبالغوا فى التحفظ داهمتهم الوساوس والهواجس [يحسبون كل صيحة عليهم] . ويشكون فى المخلصين حولهم حتى اختبأ السلطان فى قصره أحد عشر يوما لا يكاد يقترب من نافذة ولا يمر أمام باب ، ولا يدخل عليه أحد إلا بعد امتحان واختبار .

اضطربت أعصاب السلطان والأمراء والوزراء وأيقنوا أنهم مقتولون لا محالة بأيدى الفدائيين الذين أرسلهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فأرسل الى تاجر مصرى كان يتردد على العراق كثيرا ، وبذل جهدا كبيرا فى الصلح بين الدولتين يسمى [مجد الدين إسماعيل بن محمد السلامى] وكان يلى وظيفة تاجر الخاص فى دولة الناصر محمد بن قلاوون .

أرسل إليه أبو سعيد بن خدابندا سلطان المغول فى العراق ، وشدد عليه النكير وقال له : [والله ! أنت كل قليل تحضر إلينا هدية وتريد منا أن نكون متفقين مع صاحب مصر لتمكر بنا حتى تقتلنا الفداوية والاسماعيلية وأمر بالقبض عليه] (١) ثم انتشر بعد ذلك خبر فدائيين جدد قاموا بحركات اغتيال فى بغداد فوقع المغول فى أمر مريج ، وأخذت عليهم الطرق فلم يستطيعوا حماية أنفسهم ولجأوا الى هذا السلاح يستعملونه ضد سلطان مصر وأمرائها .

ولسنا نعجب بعد ذلك إذا عرفنا أن هؤلاء الفدائيين وما قاموا به من أحداث أقلقت بال المسئولين كانوا عاملا مهما فى تقريب وجهات النظر بين الدولتين ، والتعجيل بإبرام الصلح حتى يأمن الخائفون ويطمئن المذعورون .

ويبدو هـــذا واضحا فى شروط الصلح التى قدمت من السلطان أبى سعيد ابن خدابندا سلطان المغول بالعراق حيث جعل المادة الأولى من مواد هذا الصلح [ألا يدخل الفدائيون أرض العراق بأى حال]

وهكذا كان شأن الفدائيين وما يزال شأنهم فى العصور القديمة والحديثة أنهم يصلون من أقرب الطرق الى حل المشاكل الدولية التى استعصى حلها وعجزت القوات المتحاربة فى ميادين القتال عن تذليلها والتغلب عليها ؟

(١) راجع السلوك حـ ٢ ص ٢٠٨ .

مكتبتنا العربية

الصدق والكذب

لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم على أبو الخشب

المدرس بكلية الشريعة

لعل من الكلمات المبتذلة فى النطق ، السوقية فى الاستعمال ، كلمتا الصدق والكذب ، والحديث عنهما أشبه بالحديث المعاد ، يمجه السمع ، وينفر منه الطبع ، ويأباه الذوق ، والكاتب فيهما أو فى واحدة منهما يعرض نفسه - من غير شك - لسخط الساخطين من القراء ، لأنه يضيع عليهم من الوقت الكثير ، ويدخل على قلوبهم من الكآبة والألم ، ما لم يمكن نسيانه على تطاول الأيام والليالى ، وأنا شديد الحرص كلما أردت أن أتقدم بمقال إلى مجلة « الأزهر » على أن يكون فيه من الطرافة ما يجعل الناظر يستروح من بين سطوره الراحة والإطمئنان للوقت الذى قطعه فيه ، والدقائق اليسيرة التى أمضاها معه ، وليس ذلك منا واستطالة ، ولكنى أعتقد أن الأديب يبنى بكل فكرة يبديها ، أو مقال ينشره ، لبنة فى مجده ، ويضيف شيئا إلى تراث فخاره وعظمته ، فإن أخطأه القصد ، أو خانه التوفيق ، فعذره أنه لم يكن يرجو ذلك ، أو يتجه إليه « وإنما لكل امرء ما نوى » .

ولهذا فإنى لا أعود بهذا العنوان إلى بطون الكتب ، أو إلى اصطلاح اللغويين ، أو مذاهب الفلاسفة فيهما ، أو أثرهما فى حياة الأفراد والجماعات ، ومدى ما يمكن للمصلح أن يستفيد منهما ليسمو بالبيئة التى يحاول أن ينهض بها ، ويرسم من الأمانى والآمال ما يتناسب مع استعدادها وفطرتها ، فكل هذا لا يعدو أن يكون دخولا عليهما من الباب الذى لا أحب الدخول منه . .

وقد لفت ذهنى أن الدين الإسلامى قامت قضاياه كلها على هاتين الكلمتين « الصدق والكذب » ، فهو لا يكتفى من الناس أن يرددوا ألفاظا تجرى على اللسان دون أن تكون مستقرة فى القلب ، ويرى أثرها عليهم فيما يصدرون من أفعال ، ويأتون من أعمال . ولهذا نعى سبحانه على المنافقين سلوكهم الذى يسلكونه ،

مكتبتنا العربية

وبهتانهم الذى يفترونه ، لأنهم يلبسون على المجتمع الذى يعيشون فيه ، والبيئة التى يروحون ويغدون بين ظهرانيها ، ويحدث من ذلك كله أثره السيء فى المعاملات والمعاشرة ... وكان أعنف ما لا قاه صلى الله عليه وسلم وهو يدعو إلى سبيل الله عدم الصراحة والوضوح من أمثال أولئك الذين تحدث القرآن عنهم بقوله « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » . وإنما كان ذلك أعنف ما لا قاه لأن الذى يكون ملتويا فى سلوكه معك ، مبهما فى معاملته لك غامضا فى أهدافه التى يرمى إليها فيما تراه ، غير واضح المعالم بحسب ما يظهر لعينيك يكون المنهج الذى تمضى به الظروف ، والمهيع الذى تحتم المناسبات اتخاذه من أجله بعيداً عن الصواب ، مجانبا للحق ، مجانبا للمصلحة العامة ، لأنك ربما تعامله بمقتضى الظاهر ، ثم تكشف الأيام السود — أو البيض — أن الأشياء موضوعة وضعا لا يليق ، أو مرتبة ترتيبا لا يصح أن يكون ، أموجهة توجيها تختل معه الموازين .

والذى يتتبع السنة المطهرة ، ويستقصى ما كان يدور بين النبى صلى الله عليه وسلم ، وبين أصحابه رضوان الله عليهم من حوار يعلمون منه فقه هذا الدين ، وضرورة السلوك على مقتضى ما يأمر به من خير ، وينهى عنه من ضر ، يصادفه فيما يصادفه من حديث شهى ، وسمر لذيذ ، ومناقشة لطيفة ، وجدل مهذب ، قول بعضهم له « أيكون المؤمن بخيلا قال نعم . . أفيكون جبانا قال نعم . . أفيكون كاذبا قال لا . . » وليس بعد هذا تنفيرا من الكذب ، وكراهية له ، واحتقارا لأصحابه ، ووضعا فى أحط الدرجات ، وأقبح المنازل . . . فإن البخل والجبن وهما من الصفات التى تتنافى مع المروءة ، وتتعارض وكمال الرجولة ، وتأباها الإنسانية ، قد يكونان فى المؤمن المسف ، والمسلم الذى تضعف نفسه ، وتخور عزيمته ، وتنحدر همته . . . ولكنه لا يصل به التدلى الى درجة أن يكذب ، لأنه لا يستسيغ ذلك ، ولا يرضاه لطبعه ، أو يوافقه عليه ضميره إلا وقد مات إحساسه ، وجمدت روحه ، وبردت فيه نوازع الفضيلة كلها ، وهنالك لا يرجى منه ما يرجى من المؤمن من البر ، ولا يكون أمثاله إلا وبالا على المجتمع ، وفسادا فى الأرض ، وشرا للدنيا ، وفوضى تنتشر جذورها هاهنا وهنالك ...

مكتبتنا العربية

وإذا صح لنا أن ندير رحى الحديث الى « علم النفس » فإننا لا نشك فى أن هذا الضعف الخلقى من الأمراض الخبيثة . . وقد كانت مهمة الإسلام محاربتها بكل وسيلة من وسائل الحرب . ومقاومتها بأقصى أنواع المقاومة ، ولم يعلم أن هذه الخاصة كانت متفشية إلا حيث كان الناس لا يقيمون وزنا للشجاعة ، ولا يحسبون حسابا للنبل ، ولا يجعلون لمكارم الأخلاق تقديرا بينهم . . وما أظننا ننسى تلك الجملة التى قابلت العرب بها محمدا — هدانا الله بهديه — يوم صعد الصفا والمروة وناداها لكلمة سواء « والله ما جربنا عليك كذبا » ولا ننسى كذلك أن هذا الخلق كان له الأثر الطيب فى نجاح الدعوة . وقد ظل المسلمون فى الصدر الأول يقدسون الصدق ، ويجعلونه عنوان أفعالهم وأقوالهم . ويباهى أحدهم إذا نبا النبوة . أو فرطت منه الكبوة ، أن يعترف بها . ويعلن الى الخليفة أو الوالى جريمته فيها ، ليقتص منه . ويقيم الحد عليه ، حتى لا يجمع بين الإثم بارتكابها وبين الكذب بالتدليس والنفاق فى القلب ، والتمويه فى العقيدة . . .

وفى منثور الحكم « الكذاب لص » . والأريب العاقل يتبين معنى هذه « اللصوصية » فى بعض الزعماء ، وبعض القادة ، الذين يجرون على سنن خاص من السياسة ، ونمط بعينه من الحكم ، لا يمت للصدق ، ولا يتصل بالحقيقة ، ولا ينتسب الى الصالح العام ، غير أنهم يكسونه بطلاء وزخرف يخيل إليك أنهم يتحرون الصواب ، ويتوخون النفع ، ولا يقصدون إلا الجادة المستقيمة ، ثم يظهر لك فيما بعد أنهم كانوا يهدفون الى الغنم الذاتى ، أشبه بالذى يتملق الرئيس أو صاحب النفوذ رجاء أن يحصل على زلفى عنده ، أو درجة لديه . فإذا ذهبت السكرة وجاءت الفكرة بأن اللص والمسروق ؟

من معاملة الخدم فى الاسلام

قال عبد الله بن عمر : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت عنه رسول الله ثم قال : اعف عنه فى كل يوم سبعين مرة .

مكتبتنا العربية

سورة الأنفال

فضيلة الأستاذ محمود جميلة

المدرس بكلية اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم :

هى سورة مدنية ، مدنية فى نزولها ، ومدنية فى أحداثها ، ومدنية فى مرماها ومغزاها ، ومدنية فيما تناولته من أهداف ، ولم يكن لها مع مكة سوى آيات العبرة والتذكير بالماضى الحافل بكل ما يؤلم النفوس ويستفز المشاعر ويحرض النفس الأبية على الثورة العنيفة والصرخة المدوية فى وجه الظلم السافر والجور المتأصل : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس [1] فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » . « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين ، وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ، وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ، ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ، وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون [2] » .

* * *

لقد بذل الرسول الكريم من عمر رسالته ثلاث عشرة سنة يدعو مكة المعاندة ، ويتقدم إليها بكل وسيلة من وسائل الإقناع عسى أن تفىء إلى أمر الله ، فتقلع عن

---

(١) ٢٦ سورة الأنفال .

(٢) ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ١٤ ، ١٥ سورة الأنفال .

مكتبتنا العربية

عنادها وترجع إلى ربها ، ولكن القلوب قد أقفلت دون هذا الحق حتى مال ميزان عمر الرسالة إلى ناحية الانتهاء ولم تتقرر العقيدة ولم يثبت الدين ولم تنشر الدعوة .

وحمل أريج الحق مع الوافدين من طيبه وتضوع هنالك وتفتحت له نفوس أهلها ، وعلم الرسول أن نبتته التى قست عليها صخور مكة لخرمتها التربة والماء ، حتى عجزت عن قيامها وأذبلت نضرتها - قد آن لها أن تغرس بأرض طيبة ، تفرع فيها وتثمر وتؤتى أكلها بإذن ربها . وانتقل الرسول الكريم من دار العدوان إلى دار الإيمان وتعهد غرسته فكان البقاء وكان النماء .

أمنت كلمة الله بانتقالها إلى قاعدة الدولة الجديدة ، ووجدت دعوة الحق حرية فى اعتناقها وحرية فى تحملها وتبليغها ، وتدافع الأنصار عليها ينهلون من منهلها ، ويرشفون من رضابها ، وهى فى كل يوم تزداد بالمؤمنين قوة ومنعة ، حقا لقد وجدت الدعوة فى المدينة مؤازرة ومتابعة وحماية ومناصرة ولكن ... !! أيضرب عن أهل مكة صفحا وتولى الدعوة شطرها عنه فتقصد لغيرهم وتربو فى غير نفوسهم ، ويتركون وماهم عليه من ضلال وظلام ، والمكيون برغم صلابة ورثوها من صخور أرضهم ، وانحراف عن الجادة تطاير إليهم من مجاوريهم ، قد امتازوا بالشجاعة والصراحة فيما يقولون ويعتقدون ، لا يعرفون النفاق ، ولا يعرفهم النفاق ، وهذا النوع من الناس أرجى للحق وأنفع للعقيدة وأقدر على حمل اللواء .

وماذا يفعل المؤمنون بقوم تولوا وأعرضوا واستدبروا واستكبروا ، إنه لا بد من قرعة موقظة ، وضربة مرهبة تحول العيون إلى القلوب ، فترى الحق فى قداسته وعلوه ، والباطل فى نذالته ودنوه ، وعند ذلك يكون الفتح المبين ، ويدخل الناس فى دين الله أفواجا ، أما أن الحق يتخذ العزلة طريقه والبعد سلاحه فهيهات أن يشع له نور أو يبدو له ضياء .

إذن لا بد من مناوشة أهل مكة وقرع الباب عليهم ، ليكون ردهم إلى الحق عن طريق العنف الذى عرفوه والغلبة التى مرنوا عليها ، ولم يكن يخطر ببال أن تكون لغيرهم من خصومهم ، وا غرور بقوته لا تمنعه حجة العدالة ولا دليل الانصاف ولا وخزة الضمير ، وإنما ترده القوة الغالبة والصدمة المطيحة .

مكتبتنا العربية

وأعلمَ اللهُ رسوله على لسان أمين الوحى ، أن عيرا لقريش من الشام قد كثر مالها وقل رجالها . وأعلم الرسول المؤمنين ، فاشرأبت نفوسهم للقائها وتدافعوا إلى الخروج إليها رغبة فى الغنم وحبا فى الغلبة مع قلة المؤنة . وهم إذ ذاك لا يجهلون مغبة صنيعهم وعاقبة أمرهم ، وأنهم إن تغلبوا على العير ستخلف هذه الغلبة إحناً لا يمحى أثرها إلا عمل السيوف وفتك الهام . وما كانت رغبة الظفر بالمال وميل النفس للربح العاجل أن تنسى هذه الحقيقة أو تطمسها أمام هذه العيون المبصرة والقلوب الباصرة . فإذن هو خروج للمال يتعجلون به الرجال ، وأنهم سئموا حياة الدعة والاستكانة ورغبوا فى حياة المجالدة والمجاهدة ، إعلاء لكلمة الله ورغبة فى إنهاض الحق وكبت الباطل ونصرة الإيمان وخذلان الكفر .

وخرجوا للقاء العير وجدّوا فى السير ، والبشر يتلألأ على وجوههم والأمل المحبوب يحلو نفوسهم بهذه النفحة القريبة التى بدأوا بها جهادهم ففيها المال وفيها الامتثال ولم تكن هذه الملاقاة على وزان ملاقاة اللصوص وقطاع الطريق على أبناء السبيل ولكن هو تعرض من جانب الحق لجانب الباطل ليدحضه ، ولفتة من عزة الإيمان إلى ذلة الكفر قد أذن الله فيها لأوليائه أن يتعرضوا لأعدائه . حتى يبدد نور الحق ظلمة الباطل ، وتعلو كلمة الله وتسفل كلمة الجاحدين .

وتراءت لهم العير وتطلعت نفوسهم إليها . كما جاءهم النذير بتجمع مكة على كل صعب وذلول وخروجها إلى بدر لتنقذ العير وتقضى على من أرادوا أن يقطعوا طريقها ويسلبوا تجارتها ، بعد أن جرحوا دينها وخالفوا عقائدها وشنعوا على آلهتها وتقاليدها . وقبل أن يتسرب إلى النفوس يأس معوق أو خوف مهلك من تردد النفس بين العير والنفير ، نزل وعد الله بإحدى الطائفتين فكانت بشارة سكنت من فزعهم ، كما مدت لهم فى أملهم وكانت حصنا يرجعون إليه إذا ما حزبهم الأمر وضاق أمامهم المسلك ، واشتبك الحق الأعزل بالباطل المدجج ، ووقف الجندى المسلم أمام ثلاثة من أعدائه أو يزيدون ، واهتزت قلوب المؤمنين من لقاء أعداد وعدد ، على حين أنهم قلة عزل فكرهوا الخروج وجادلوا ، وأنساهم الهول أن نصرهم قد تعهد به الله ، وأن فى غلبتهم على قريش رفع لأعلام الحق ونشر لدين الله وتثبيت للمؤمنين وتثبيط للكافرين .

* * *

مكتبتنا العربية

والتقى الجمعان ، وأمد الله المؤمنين بملائكة مردفين ومنزلين ،وأنزل فى قلوب أعدائه الفزع والهلع وانجلت الواقعة بنصر القلة المؤمنة على الكثرة الجاحدة ، ولما سكنت الهوجاء ودارت رحى الحرب على أعداء الله ووقعت الأسلاب والغنائم فى أيدى المؤمنين ، هنالك غفلوا عن تأييد الله لهم وظنوا أن ما اكتسبوه كان بنضالهم وقتالهم ونسوا أنهم قلة مستضعفة سيقت للخروج كما تساق إلى الله ، وأن أسباب النصر الظاهرية لم يكن لهم منها حظ يؤبه له ، فلقد نصرهم الله ببدر وهم أذلة وقاتل عنهم بأيديهم ورمى عنهم وثبت قلوبهم وأقدامهم وكان عليهم أمام هذا الفضل من الله أن يكلوا إليه جميع أمورهم ومنها أمور الغنائم فى قسمتها أو تمييزها أو فى حلها أو حرمتها ، فقد كانت لا تحل الأمم السابقة وأحلها الله لهذه الأمة .

فى هذا العرس الذى أقامه الله لدعوته وهذا المأتم الذى جعله الله لأعدائه ، تلفت نفوس مجاهدة إلى عبرة هذا النصر فتدرك أن الحق لا يعجزه إقلال ولا قلة ، وأن الباطل لا ينفعه عدد ولا عدة ، وأن عشرين صابرين شديدى الإيمان بحقهم يغلبون مائتين ، وأن مائة ضعيفة مؤمنة يغلبون مائتين فالحق غالب إذا ما وجد رفقة تحميه وأصحابا تأويه ، أما الباطل فهو هزيل بنفسه وهزيل بصحبه ، براق خداع يتجمع عليه المبطلون يأنسون به ويرفهون بجواره ومتابعته لا تقوم قيامته ولا تنشر أعلامه ولا يصول ولا يجول إلا إذا كان انكسار الحق وانكماشه وزهد أصحابه فيه ورغبتهم عنه فالحق عدد وعدة مع أصحابه لا ينهزم أخوه إلا عن وهن يصاب فيه ، أو ضعف يعترى الإيمان به . وما كان الحق بحاجة إلى من يقيم أمره ويدفع عن حوزته وهو الثابت بتثبيت الله والعزيز بإعزاز الله ، ولكن الله أراد أن يكرم أحبابه فنصره بأيديهم وكشفه بجهادهم ، ونضالهم لتكون لهم الحسنى باشتغالهم بقضيته وبذلهم فى سبيل ذلك أنفسهم وأموالهم .

فى هذه الظروف وبين تلك الملابسات تأخذ سورة الأنفال ، أو سورة بدر طريقها إلى النزول بالمدينة حاملة فى آياتها الثمانى والسبعين ما يكشف عن حقيقة الجند فى الله وما تقتضيه الجندية الإسلامية من حزم وتفويض وطاعة حتى تكون مهبطا لرحمة وموضعاً للمدد والعناية ؟

مكتبتنا العربية

أبو محجن

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد خليفة
المدرس بالأزهر

بين صليل القيد ووحشة السجن وظلمته، زفر أبو محجن زفرة كادت تصعق لها روحه، وتحترق فيها نفسه، حين حملت إليه الأصداء البعيدة صهيل الخيول، وصليل السيوف، وهتاف الفوارس وانتماءهم إلى العشائر والآباء.

ومن فوق حصن العذيب، الذى سجن فيه أبو محجن، جلس القائد العظيم سعد ابن أبى وقاص موعوكا ينتفض ويشرف على المعركة، فيرى عدوه وقد حشد كل قواه ليدحر المسلمين ويردهم عن فتح القادسية. ويرى سعد مع هذا صمود الأعداء أمام الهجمات الجبارة التى يشنها المسلمون فيود، وهو الموعوك، لو استطاع النزول إلى المعركة ليصرع عزائم العدو ويدمر قواه وأنى له ذلك؟

لقد زاغ بصر سعد بين الملحمة الدائرة، فرأى لججاً من الدم تسبح فيها الجيوش المقاتلة، فرد الطرف ثم أرسله إلى السماء يسأل ربه النجدة لهؤلاء الجنود الذين وهبوا الحياة لدين السماء، ونبهه صليل القيود وراءه فالتفت فإذا أبو محجن يثب فى قيده يسأله الفكاك من الأغلال ليخرج مجاهداً فى سبيل الله.

ترى ما هذه الجريمة التى سجن فيها أبو محجن؟

لقد نشأ أبو محجن فى بيت مترف من بيوت ثقيف، ترفرف عليه ظلال النعم ويدرج مع لداته الثقفيين بين أعطاف النعيم، يتنسم أنسام الحرية المطلقة التى تعاف القيود، ووجد من المال الجم الذى تضفيه عليه جنانه ما يحقق لنفسه لذاتها، فشرب وأسرف فى الشراب ولذ له ذلك الإسراف، وانطلق لسانه بالشعر يصور به مجالس اللهو، ويصف الخمر وسقاتها، ويركض مع الراكضين فى ميادين الخلاعة والشباب.

وأسلم أبو محجن ولكنه بعد إسلامه لم ينس ذكر الخمر، ولم يهجر لسانه ترديد ما قال فيها، بل ظلت تعاوده ذكريات الشباب، ومجالس الراح فيهتف بما قال فى جاهليته، وأخيراً ضاق به عمر ذرعا فضيق الخناق على تلك العاطفة اللاهية، ولكن أبا محجن لم يكن الضعيف الذى يخشى درة عمر أو يهاب سياطه، فقسلمه سعد ابن أبى وقاص وأودعه ظلمات سجن العذيب فى بلاد فارس. وطالت ليالى

مكتبتنا العربية

السجن على أبي محجن ، واخترق جرس الحديد وصليل السيوف جدران السجن إلى سمع أبي محجن ، فاصطكت أنيابه ، وكيف يهجع إلى السكون والمسلمون أحوج ما يكونون إلى رجل له شجاعة أبي محجن لخبا في قيوده ، ووثب حتى طلع فوق الحصن ودلف إلى سعد يستشفعه في حسرة تذيب القلوب : إنه لا يريد الفرار من القيد ولكنه يريد الجهاد في سبيل الله .

ولكن سعداً الذي امتلأ قلبه ضغناً على لهو أبي محجن لم يخضع لاستشفاعه ، فقفل راجعاً يتلوى عليه القيد كالأفعوان وخواطره تهتف :

قد كان كالثعبان رمحك في الوغى   فغدا عليك القيد كالثعبان
قلبي إلى الرحمن يشكو بثه   ما خاب من يشكو إلى الرحمن

وانحدر في قيده إلى سجنه ونفسه تتمزق حسرات ، فالتقى بسلمى بنت حفصة ، زوجة سعد بن أبي وقاص ، فهتف بها : يا بنت حفصة هل لك في خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تخلين عني وتعيرينى البلقاء (فرس سعد) ولله علي إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في القيد فقالت : وما أنا وذلك ، فوثب في قيده وهو يقول :

كفى حزنا أن ترتدي الخيل بالقنا   وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قمت عنانى في الحديد وأغلقت   مصاريع من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وثروة   فقد تركوني واحداً لا أخاليا
فلله عهد لا أخيس بعهده   لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

فنادته سلمى : إني استخرت الله ورضيت بعهدك وأطلقته وأسلمته البلقاء ، فخرج بها من الباب الذي يلي الخندق وعدا إلى المعركة والتفت المسلمون على صيحة مجلجلة : الله أكبر الله أكبر .

فإذا بذلك الفاتك الملثم يحمل على ميسرة العدو حملة جبارة ، فيزعزع أركانها والمسلمون يرمقونه بأبصارهم ثم يغوص ذلك الفارس في المسلمين حتى يحازي ميمنة القوم فيطلع كالسهم المارق يقد الأعناق ويطيح بالهامات ، فلا يبدو له فارس يخب في صلفه من فوارس الأعداء حتى يهتكه ، وهكذا حتى مزق ميمنة العدو ثم غاص في المسلمين حتى حازى قلب العدو فبرز وأعمل السيف حتى تلاشت عزائم القلب .

وهنا عجب الناس وقالوا من هذا الفارس الذي لم نر أصدق من حملاته ؟
فقال بعضهم : هو من جند الشام الذين قدموا تحت لواء هاشم بن عتبة .
وقال بعضهم : إن كان الخضر عليه السلام يشهد الحروب فذلك هو الخضر .

مكتبتنا العربية

وقال بعضهم : لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا إنه ملك .

وبهر القواد جميعا وفيهم عمرو بن معد يكرب والقعقاع وطلحة بن خويله .

أما سعد فقد علق بصره بذلك الفارس منذ نزل المعركة وأمسك قلبه بيده . حتى لا يثب فرحا لذلك النصر الذى يكلل به ذلك الفارس تاريخ المعركة وقال : والله لولا محبس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء .

وفى ظلمة الليل وقد نكص الفرس على أعقابهم واحتل المسلمون مواقعهم الجديدة ، رجع أبو محجن إلى حصن العذيب فدخله من حيث خرج ورد البلقاء إلى مربطها ووضع رجله فى القيد وهو يقول :

لقد علمت ثقيف غير فخر بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكرمهم دروعا سابغات وأصبرهم إذا كرهوا الحتوفا
وليلة فارس لم يشعروا بى ولم أشعر بمخرجى الزحوفا
فإن أحبس فذلكم بلائى وإن أترك أذيقهم الحتوفا

وجاءت سلمى فقالت : يا أبا محجن فيم حبسك سعد ؟ قال : والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكننى كنت صاحب شراب فى الجاهلية وأنا امرؤ شاعر ، يدب الشعر على لسانى ، فأصف القهوة وتداخلنى أريحية ، فألتذ بمدحى إياها فلذلك حبسنى لأنى قلت فيها :

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفنى بالفـــلاة فإننى أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

وانطلقت سلمى إلى سعد تقص عليه قصة ذلك البطل العظيم وتتحدث عن جهاده وحسن بلائه فدعا به سعد . وأطلق سراحه وقال : إذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله

قال : لا جرم والله لا أجبت لسانى إلى صفة قبيح أبدا ، وحرم على لسانه ما كان يهتف به من شعر الخمر .

أيها المتطلعون إلى الحياة الحرة الكريمة اقتبسوا من هذه الصفحة المشرقة قبسا يضيء لكم سبيل الحرية التى تنشدونها . واطلبوا الموت كما طلبه أبو محجن توهب لكم الحياة كما وهبها .

واستعيدوا الإسلام ذلك المجد الشامخ الذى شيده أسلافكم بعزائم فلت الحديد ولا يفل حديد الطغيان إلا عزائم تسخر من كل طغيان .

مكتبتنا العربية

من طرائف القرآن الكريم

لحضرة الاستاذ عبد الغنى عوض الراجحى

هى فى بحثنا هذا طريفة واحدة، من هذه الطرائف التى تتعلق بالنظم المتشابه فى القصص القرآنى، حيث يكون المعنى الأصلى واحدا، يحكى فى أكثر من موضع، بعبارات تختلف تقديماً وتأخيراً وذكراً وحذفا ونحو ذلك. فذلك وإن كان يعرف إجمالا، أن مرده إلى التفنن والتنويع والاختلاف بغير تناقض، تبعاً لمقامات الكلام المختلفة، سيما والمعمود إليه حكاية المعانى لا خصوص الألفاظ. فيغتفر فى الأولى من التصرف ما لا يغتفر فى الثانية. إلا أننا فى هذه المباحث نعرض لذلك تفصيلا جزئية جزئية، بما لا يدع مجالا للمكابرة، حتى نجهز على هذه الفرية التى تشدق بها بعض الباحثين، الذين يردون هذه الظاهرة فى القصص القرآنى إلى أنه عمل أدبى وحبك فنى، يعتمد على السبك والإخراج، أكثر مما يعتمد على الصدق والتزام الحاصل فى الخارج.

الطريفة: فى قوله تعالى فى سورة الشعراء فى سائر قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب فى حكاية ما يقوله كل رسول لقومه: «وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين»، مع قوله تعالى فى سورة يونس قصة نوح فى حكاية قوله لقومه: «فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الذى فطرنى»؛ مع قوله تعالى فى سورة هود قصة هود «ويا قوم لا أسألكم عليه مالا، إن أجرى إلا على الله»، فإنه يسأل فى هذه المجموعة من الآيات عما يأتى:

أولا: الذى نفى الرسل أن يسألوه على تبليغ الرسالة كان بلفظ الأجر فى جميع المواضع، ما عدا قصة نوح فى سورة هود فإنه بلفظ المال؟ وجوابه: أن لفظ الأجر أشمل وأعم، وهو الأصل فى مثل هذا المقام، حتى فيما كان من خاتم الرسل لقومه العرب: «قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى (١)»، «قل ما أسألكم

(١) سورة الشورى

مكتبتنا العربية

عليه من أجر وما أنا من المتكلفين [١] » ، وخصوص التعبير بالمال فى هذا الموضع ، خاصة من قصة نوح ، إنما كان لمناسبة ما فى هذا المقام خاصة من تعبير قوم نوح له باتباع الأراذل الفقراء له . . « ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل » . مع رده عليهم فى قوله : « ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا » . وقوله « ولا أقول لكم عندى خزائن الله » . يعنى حتى يكون الفقراء اتبعوه ليعطيهم منها الرزق والمال . فكان لفظ المال ، لا الأجر بهذا المقام أمس وأنسب .

ثانيا : فى بعض المواضع من قول الرسل لأقوامهم « أن أجرى إلا على الله » وفى بعضها « رب العالمين » ، وفى بعضها « الذى فطرنى ؟ » ، وجوابه أن لفظ الجلالة هو الأصل لا يسأل عن علته ، أما « رب العالمين » فإنها اطردت فى سائر قصص سورة الشعراء ، ولها امتداد إلى ما فى السورة من غير القصص ، فكان آخذا بعضه بحجز بعض ، وكان سمة بارزة من هذه السمات التى تتسم بها بعض السور القرآنية والتى أطنبنا فى شرحها وتعليلها فى أبحاث سابقة أما « الذى فطرنى » فكانت فى سورة هود خاصة لما سبقها من قوله لقومه « إن أنتم إلا مفترون » فافتراؤهم على الله يقتضى نسبته إلى العجز الذى منه العجز عن كونه فاطراً فيقابله إثبات ذلك .

ثالثا : كان لفظ الأجر فى بعض المواضع منصوبا وفى بعضها الآخر مجروراً بمن الزائدة ، ولا فرق بين الطريقتين إلا ما يقولونه من أن الطريقة الثانية مفيدة لتأكيد العموم ، فإذا علمنا أن سورة الشعراء من أبرز مقاماتها بيان ملاينة الرسل لأقوامهم والحرص على نصحهم مع الإمعان فى ذلك . علمنا لماذا كانت هذه الطريقة الثانية مطردة فى سائر قصص سورة الشعراء ثم فى قصة نوح خاصة فى سورة يونس [٢] ، بله ما فى اطراد التماثل وترادف الصنيع الموحد فى السورة الواحدة من حسن الاتساق وجمال الأداء .

رابعا : فى كل المواضع كان لفظ الأجر مسبوقا بالجار والمجرور « عليه » ، إلا ما كان فى سورة يونس قصة نوح من عدم ذلك الجار والمجرور وذلك لورودها

(١) سورة ص

(٢) بينا فى أبحاث سابقة ما كان يمتاز به نوح من شدة الحرص على هداية قومه أكثر من غيره

مكتبتنا العربية

مورد الاختصار والاعراض والمتاركة ، يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله . . القصة .

خامساً : فى كل المواضع ، أسألكم ، بصيغة المضارع إلا ما كان فى قصة نوح سورة يونس فإنه بلفظ الماضى ، سألتكم ، وذلك لأنه وقع جوابا لشرط بصيغة الماضى ، فإن توليتم ، والماضى بالماضى أشكل .

سادساً : يقع نفى السؤال أحيانا بما ، وأخرى بلا ، ففى بعض المواضع ، وما أسألكم عليه ، وفى بعضها الآخر ، لا أسألكم عليه ، فهل من سر لذلك ؟ الجواب : نعم ، وسر عظيم ، فإن جمهور أهل العربية يقولون ، ما ، للنفى فى الحال و ، لا ، للنفى فى الاستقبال . وخالف فى ذلك وسوى بينهما ابن مالك ، ومهما يكن من هذا أو ذاك ، فإن الطريقة الأولى اطردت فى سائر قصص سورة الشعراء ، والطريقة الثانية اضطردت فى قصتى هود ونوح المتجاورتين فى سورة هود ، وذلك جار على عادة القرآن فى مراعاة الجوار وإعطاء سمات موحدة فى الموضع بعد الموضع . ولو أردنا أن ندقق النظر ونستقصى فى البحث لعلمنا أن الحرف الأول أنص فى النفى من الحرف الثانى ، لخروج الثانى دون الأول من النفى إلى النهى ، وما كان أنص كان أقوى وأدل ، فإذا ذهبنا نتتبع مواقع الاستعمال وجدنا أن ما كان فيه الجر بمن الزائدة المفيدة لتأكيد العموم فى النفى كان مسبوقا بالحرف الأول ، ما ، ، وما ليس فيه هذا الجار الزائد ، كان مسبوقا بالحرف الثانى ، لا ، ، يطرد هذا بشقيه وجوداً وعدما ، فيكون التركيب الأول برمته آخذا بعضه بحجز بعض فى قوة افادة النفى وعمومه ، ويكون التركيب الثانى كذلك آخذا بعضه بحجز بعض ، فى كونه أدون من الأول فى إفادة ذلك : وإذا كان ذلك كذلك فقد كان الصنيع الأول برمته فى سائر قصص سورة الشعراء وقصة نوح سورة يونس ، كله بما النافية ومن الزائدة ، وكان الصنيع الثانى برمته فى قصتى نوح وهود المتجاورتين فى سورة هود بـ : لا النافية ونصب الأجر بدلا من جره ، حتى ما كان فى مقالة خاتم المرسلين لقومه العرب ، ما كان فيه الجار الزائد كان نفيه بما النافية ، قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ، . وما لم يكن فيه هذا الجار الزائد كان نفيه بلا النافية ، قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ، .

مكتبتنا العربية

مطالعات

لحضرة الأستاذ سعيد زايد

قال الأستاذ مشير حسين كيدوى فى مقدمة كتابه الإسلام والاشتراكية Islam and Socialism المنشور فى الهند سنة ١٩١٠ باللغة الانجليزية ما يأتى :

« لا ينبغى أن يعوق ما يتراءى أمام المسلمين من مستقبل مظلم عن إحياء قوميتهم وتدعيم مركزهم عن طريق التمسك بمبادىء الاشتراكية المحمدية فى جميع مناحى الحياة الإنسانية ، فهذه المبادىء تهب الحياة ، وتبعث البهجة فى حين أن المادية الغربية متى تعارض معها قد تأصلت فيها بعض العناصر التى تحطم النفس . وتعد الحالة الراهنة فى إيران مثلا يثبت ما ذكرناه . فالطغيان الروسى مسيطر - كما يلوح فى الوقت الحاضر - على البلاد لأنه مؤيد من قبل القوة المادية . ولكن إذا لم تستطع هذه القوة المادية أن تقتل العواطف الروحية القائمة على الأخوة المشتركة بين المسلمين ، وإذا ظلت هذه العواطف والقوى مصممة على أن تجابه قوة العدو المادية بقوتها المستمدة من العزيمة المتحدة لتصون حريتها واستقلالها ، فسيثبت المسلمون أنفسهم فى هذا الشوط الطويل من النضال ، وسيكره الطغيان الروسى بريطانيا العظمى إن عاجلا أو آجلا على أن تشتبك معه فى قتال إذا كانت فى الشعب البريطانى بقية من غريزة الدفاع عن النفس ، وإذا كانت عواطف مسلمى الهند نحو إخوانهم فى إيران تجعلهم يواصلون مطالبة الحكومة البريطانية بتعديل حقوقهم كما أن روح الاستقلال عند الإيرانيين إذا هى ظلت قائمة فستتاح لها فرصة لتؤكد نفسها ، هذا وإن المرء ليجد هذه الروح المعنوية فى حرب طرابلس ، فلو لم يكن للعرب قواد مدربون على أساليب الحرب الحديثة لاستطاع الحماسى الدينى البالغ الحد أن يثبت وجوده ، وأن يكون قوة مدمرة كما كان الشأن فى موقعة أم درمان وحيث إن العرب الآن قد تلقوا بعض المساعدة المادية ، ففى وسعهم أن يجابهوا جيشاً أوربياً جراراً مزوداً بجميع الأسلحة الحديثة لا لشىء إلا لأن قوتهم المادية تعززها قوة روحية ودينية ، وهو الأمر الذى يعوز أعداءهم . وإن الانسجام

مكتبتنا العربية

العاطفى ، والترابط الاجتماعى فى أمة كالأمة الإسلامية لجدير بأن يزودهم بقوة كفيلة بأن يتغلبوا بها على أية جماعة تعتمد على القوة المادية الأوربية . ومن الممكن أن تفل المادية مادية أقوى منها ، ومن الميسور أن يقضى على المادية ولكن ليس من الميسور القضاء على الروحية والعاطفية ، وقد يمكن إفناء الجسد المادى أما روح الأمة وعواطفها فلا سبيل إلى استئصالها ، ومن المتعذر قتل فكرة ما بالحراب والقنابل ، ومن الممكن تقويض دعائم الحضارة المادية التى تقوم على السكك الحديدية والتلغراف والمدرعات والطائرات ، إلا أن النظام الروحى القائم والتميز الخلقى للإنسان ، وإيثار المصلحة الذاتية فى سبيل خير الآخرين ، لا سبيل إلى تقويض دعائمه . وتمتاز آسيا فى الناحية الروحية بقوة عظمى ممتازة ، ولكن وا أسفاه لقد نسيت شعوبها قيمة هذه القوة ... دعهم يصبغوا قارتهم بالصبغة القومية ، ويستفيدوا من تجارب الماضى ، ويتمسكوا بمبادىء الانسجام المتبادل والاشتراكية فى جميع مناحى حياتهم ، فسوف لا يحملون خصومهم على الاعتراف بهم فحسب بل سينقذون العالم من الكارثة الرهيبة كارثة المادية . وإن ارتفاع مستوى المعيشة فى أوربا التى تجثم على صدر الفقير ، وترف الحياة التى يسيطر عليها الرأسمال لم يأت إلا عن طريق الاستغلال الدنىء للجماهير الضعيفة . وقد تيقظ لهذه الحال عمال أوربا فراحوا يقومون بالإضرابات التى لا شك أنها ستعيد إلى الرأسماليين انتباههم ، وما هذه الإضرابات إلا من نتائج هذا الوضع . ومع ذلك فلا تزال شعوب آسيا تغط فى نومها ، بالرغم من أنها وهى الشعوب السقيمة الهزيلة - التى لا يكاد الفرد فيها يظفر بأكلتين فى اليوم ، ويغطى نفسه بأخشن الثياب ، ويسكن أكثر الأكواخ تواضعاً - هى التى تمد الأوربيين الرأسماليين بأشهر الأطعمة فى أبهى القصور .

وكما أن الساسة الأوربيين لا يقرءون العصر الأول من تاريخ الإسلام ويجهلون أن الإسلام ينطوى على ديموقراطية حقه واشتراكية عميقة واسعة المدى فإن المفكرين والمشترعين لا يدرسون مراحل الحياة الإسلامية بل يمرون بحقائق متفرقة ، فهم عادة يتناولون مسائل متصلا بعضها ببعض كالزواج وتعدد الزوجات والمهر والطلاق ويوجهون نقدهم المتحامل إلى الجانب الاجتماعى من الحياة

مكتبتنا العربية

الإسلامية ، وقد رأى قضاة مجلس الملك البريطانى أن ما يوقفه الرجل على ذريته (وقف الأولاد) تعرف ليس له سند قانونى ، وما ذلك إلا لأنهم تناولوا مسألة الوقف وحدها دون أن يعيروا الانتباه الكافى للموضوعات المتصلة بقوانين الإسلام من ميراث وهبة وبيع وصدقة ، وخطأ آخر يرتكبه النقاد الأوربيون عامة هو أنهم يقيسون الآخرين بالمقياس الغالب فى أوربا . والفوضوية الأخلاقية أو الزنا أقل شراً عند الأوربيين من تعدد الزوجات الذى تحرمه أوربا بالقانون . ووقف الأولاد يعتبر من الأمور التى ليس لها سند قانونى لأنه لا يتسق مع التصور المسيحى للصدقة والقانون الأوربى الخاص بالهبة . والطريق الطبيعى لفك رابطة الزواج كما أباح الإسلام مما يعترض عليه الأوربيون لأنهم قوم يميلون إلى غسل الثياب القذرة للحياة الزوجية فى المحاكم العامة ، أو يودون أن يتلظى الزوج الذى لديه من الأسباب ما يجعله يكره امرأته فى حياة الشقاء أو يريدون أن يورثوا الزوجة التى لا يسعها أن تنفصل عن زوجها حزنا وألما . ويسوء أوربا أن ترى امرأة شرقية دون جوارب ولكنها تأذن للجنس اللطيف بأن يعرض مباذله فى المراقص العامة وغيرها فى ثوب نصف عار . وأوربا تحبذ حياة الأثرة التى يحياها المرء فى بيته حيث لا يكون أكثر من حيوان إذ لا يعنى بغير زوجه وأطفاله وحين لا تسمو غرائزه الاجتماعية إلى ذلك المستوى الرفيع من الحياة الذهنية الإنسانية المتحضرة وهى الحياة التى يعيشها الشرقى ويعمل فيها بنخوة ليعول الآخرين ولينفق على عدد كبير من الأفراد من المال الذى يكسبه بعرق جبينه . وحتى فى تلك الأمور الصغيرة مثل الملبس والطهى تزعم أوربا تفوقها وترى أن كل نظام آسيوى دونها فى هذا الشأن . والحقيقة أن أوربا شديدة التعصب فى إدراك تميزها ، إلى حد أن المسئولين من رجالها يحتقرون الآسيويين ويتندرون بلغتهم غير أن الآسيويين قد أصبحوا أشد حساسية لمثل هذه الاهانات وستدفع أوربا إن قريبا أو بعيدا ثمن خيلائها كما اضطر الآسيويون مرات كثيرة إلى أن يدفعوا ثمن حماسهم الدينى ... نحن لا نستسيغ أن يقال عنا إننا خراف لا راعى لها أو شعب لا يقدر المعاملة الإنسانية المحترمة حق قدرها أو أننا

مكتبتنا العربية

لسنا اهلا للإدارة الحرة الدستورية . فالحق أن الآسيويين أعظم عاطفة ومن هنا صاروا أكثر حساسية .

وكثيراً ما يعجز النقاد الأوربيون عن تقدير عالمية الإسلام وعن فهم البطولة الوطنية التى يتسم بها المسلمون ويخالونها تعصبا دينيا . وثمت كثير من المغرضين الذين يرجعون ضعف المسلمين اليوم إلى الإسلام رغم أنهم يعزون الضعف الخلق الذى يعانيه المسيحيون أقباطا وإغريق إلى الظروف السيئة التى اكتنفتهم أجيالا طوالا بدلا من أن ينسبوها إلى المسيحية ، وينسون أنه حينما بلغ كل من الإسلام والمسيحية ذروة المجد انتصر الإسلام على المسيحية خلقيا واجتماعيا وسياسيا ، ولكن عندما ولت المسيحية وجهها شطر المادية وافتقد المسلمون المبادىء السامية من إيمانهم استطاعت أوربا بفضل غلبتها المادية أن تجعل المسلم الشرقى الذى تخلى عن روحانيته فى موطىء قدميها . فالمسيحية لم تهزم الإسلام قط ولن تفعل ذلك ، إلا أن المادية بما لديها من كتائب قوية قد تغلبت حينا من الدهر على الأمم الإسلامية التى بددت كثيراً من قوتها الأزلية الروحية بسبب إهمالها وبسبب افتقار من يسمون بزعمائها إلى الإخلاص والتضحية .

فالإسلام ذاته لا يمكن أن يغلب على أمره ، وكذلك المسلمون الذين وقرت فى نفوسهم روح الإسلام ، وإذا كان المسلمون قد عجزوا عن مجابهة المادية فليس ذلك مما جناه الإسلام عليهم فهو - من ناحية أخرى - الدين الأوحد الذى جمع بين الروحية والدنيوية . فكما وضع قواعد ليهتدى بها المرء فى حياته الروحية نظم للناس الشئون الاجتماعية والسياسية والمدنية والعسكرية والقضائية والتجارية ؛ فهو على نقيض المسيحية لم يطرح الروحية تحت ضغط المادية ، ولكن نظراً إلى أن أوربا المسيحية قد كرست طاقتها كلها للعمل على تقدم المادية فقد ديست الممتلكات الإسلامية . ومع ذلك فخضوع المسلمين هذا موقوت ولو أن المسلمين لم يضيعوا اتصالهم بروح الإسلام ولو أنهم لم يتجاوزوا السبل التى اختطها لهم الإسلام لصار من المتعذر احراز هذا النصر المادى الموقوت .

ولكن فمن حق المسلمين والأمور تجرى على النحو التى تجرى عليه الآن أن يطلبوا إلى هؤلاء النقاد الذين ألفوا عليه تبعة بلوغ المسلمين هذه الحال دراسة

مكتبتنا العربية

الإسلام وقراءة تاريخ المسلمين عند ما كانوا شديدى التمسك بعقيدتهم . إنهم إن فعلوا فسيعترفون بأن الإسلام قد نجح فيما عجزت عنه المسيحية نفسها بل اليهودية وغيرها من الأديان فى أوج قوتها من النهوض وتمدين شعب متحلل الأخلاق مفكك الأوصال شرير سيء الخلق ، وسيقرون بأن ما ساهم به الإسلام من الناحيتين الثقافية والأخلاقية لرقى الإنسانية لا نظير له فى العالم وسيكونون حينئذ أحكم فى نقدهم للإسلام .

ولعل النقاد الذين يرون أن الفوضى مرحلة من مراحل الاشتراكية لا يعوزهم أن يروا وصفاً مفصلا لها . والإسلام لم يشجع الفوضى قط رغم أن المسلمين تعرضوا له فى وقت ما . وقد تعمدت عدم الإشارة إلى تلك الهيئة الفوضوية التى أنجبتها شر العبقريات الإنسانية المعروفة والتى قامت بفضلها حكومة ظلت ما يزيد على مائة وخمسة وعشرين عاماً على يد حسن بن صباح وهو رجل قبيح الشهرة وأحد رفاق الشاعر المعروف عمر الخيام . وكان أتباع حسن صباح يعرفون بالحشاشين أو السفاحين .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

والجامعة الإسلامية (والإسلام معناه السلام والأمن) هى مثلى الأعلى . وفى رأيى أن مثل هذه الاشتراكية التى تجنح إلى العنف والفوضى ينبغى ألا تلقى أدنى تشجيع واعتراف من الشعب المتحضر . ويجب ألا يفرق بين الفوضى والقتل بالرغم من أن الأولى بريئة من أعمال الشر أو الطغيان . فينبغى ألا تكون للاشتراكية علاقة بالفوضى التى تهدف إلى القضاء على الحياة الإنسانية . بل على العكس أرى أن تكون الاشتراكية عاملا من عوامل الانسجام والاتحاد بدلا من أن تكون من عوامل التدابر والانفصال » .

وبعد ، فقد انتهى كلام الأستاذ وهو مكتوب سنة عشر وتسعمائة وألف ميلادية ، ولعل فيه ما يصح أن يكون من مشاكل اليوم وما يحتاج فيه إلى تعليق لا يخفى على فطنة القارىء .

مكتبتنا العربية

نقيصتان

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى
المفتش بالأزهر

يقاوم الدين الإسلامى (وهو دين الإصلاح الشامل والمثل الأعلى للاجتماع الصحيح) نقيصتين هما أفتك الصفات بالأمة وأسوأها أثراً فى تكوينها ، كلتاهما مفرق لكلمة الجماعة ، مقطع لروابط الإخاء ، ماحق للبركة ، مضعف للشوكة ، وكلتاهما مؤسس على إيثار الدنيا . وهى رأس كل خطيئة وأس كل مأثمة ، وكلتاهما ضعف فى الإيمان بالله وفى قدره حق قدره ، وجهل بحق هذا الخالق الرازق العظيم ، وحق عباده : الظلم والشح ، والظلم وضع الشىء فى غير موضعه ، وهو كالطبع لا يفارق الإنسان إلا رياضة وجهاد ، إن الإنسان لظلوم كفار !

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وهو على ذلك قبيح بشع ، لو تمثل للناس لها لهم منظره ، ولخروا صرعى أمام شدة قبحه ، وفظاعة وحشته ، وهو مع العدل كالأعمى والبصير . والظلمات والنور ، والظل والحرور ، فبقدر ما فى العدل من محاسن تتجلى فى الحب والصفاء ، والتناصر والولاء ، وفى العمران والقرار ، وراحة ضمائر الأحرار ، واستدرار رحمات السماء وبركاتها ، يكون مقدار ما فى الظلم من مقابح تتمثل فى العداوة والبغضاء ، وفى التقاطع والالتواء ، وفى التخريب والتدمير ، وفى تعب القلب وحرج الضمير ، والاستهداف للعنات السماء وبلائها ؛ ... لو علم الظالم أنه باستباحته أن يظلم أخاه فى ماله أو عرضه أو دمه قد أساء إساءة بليغة إلى عدة نواح كانت جديرة منه بالإنصاف كل الإنصاف ، لما لها من حقوق تتطلب إحسانا لا إساءة ، وإفضالا لا بخسا : لو علم ذلك لفر من الظلم فراره من الأسد حتى لا يفتك به .

أما إحدى تلك النواحى ، بل هى أولاها ، فإنها نفسه التى بين جنبيه ، فقد رضى لها بصفة الظلم ، ووضعها فى تلك الخسيسة التى كان ينبغى أن يكرم نفسه عنها ، ولا يجعل لنفسه سبيلا إليها .

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه فنى صالح الأعمال نفسك فاجعل

مكتبتنا العربية

ولكن الظالم ضحى بكرامته ، وتعرض لتلك الخسيسة فى سبيل شهوة كاذبة ، أو ثورة طائشة ، أو نزوة جامحة ، أو فتنة خادعة ، أو أية باعثة متضعة ، فكان من الخاسرين . ومن تلك النواحى التى أساء إليها الظالم أخوه المظلوم الذى أمره الدين والاجتماع والعرف بالإحسان إليه ، ونهى عن العدوان عليه ، وقد شددت الأديان السماوية فى ذلك إلى أبعد حد ومدى ، فقال الله سبحانه : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخوا المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ؛ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ، كل هذا يضحى به الظالم فلا يبالى أن يسىء إلى من أمر الله بالإحسان إليه ، ودعت الشرائع إلى تكريمه والحدب عليه ؛ ثم هو بعد يعرض نفسه لخصومة أخيه ، وما كان أحوجه أن يجعلها تعاونا ومودة ونصحا ومحبة .

فياعم مهـــلا واتخذنى لنوبة تنوب فإن الدهر جم نوائبه

لقد أساء الظالم إلى الجماعة التى يعيش فيها ؛ لأنه أساء إلى عضو منها ، والجماعة يغار بعضها لحرمة بعض ، وأساء اليها ؛ لأنه قرر جريان الظلم بين ظهرانيها وشجع عليه ، ودعا بفعله إليه ، فهو عامل هدام فى المجتمع ، شريك فى كل مأثمة تجرى من هذا النوع ؛ وإلى ذلك تشير الآية الكريمة : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا . » ، والأحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم : « من دعا إلى ضلالة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة . » ولهذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « مامن نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها ؛ لأنه أول من سَنَّ القتل . » ، ثم إنه أساء إلى خالق هذا الكون ؛ لأنه عصاه فى أهم ما يدعو إلى تركه والإعراض عنه ؛ ولأن الله أراد الوئام ولكنه آثر عليه الخصام ؛ وأن الله دعا إلى المحبة والألفة ، لكنه آثر فى سبيل بغيه العداوة والفرقة ؛ فويل للظالمين .

مكتبتنا العربية

الظلم شؤم فى الدنيا على صاحبه ، وعلى من يحف بصاحبه ، وعلى ما يحل به صاحبه من منزل أو قرية ، أو محلة ، قال الله سبحانه : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب . » « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا . » ، وقال كعب الأحبار يوما لأبى هريرة مكتوب فى التوراة : « من يظلم يخرب بيته . » فقال أبو هريرة : « تلك فى كتاب الله تعالى : « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا » .

إذا كان للظلم عقاب مؤجل إلى يوم تشخص فيه الأبصار ، فإن له عقابا فى الدنيا معجلا يراه الظالم فى نفسه ، ويراه الناس فى عقبه شماتة وتشفيا ، وقد قال النبى صلوات الله عليه : « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته . » ، ثم تلى الآية الكريمة : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد . » ، وفى الحديث : « لو بغى جبل على جبل لدك الباغى منهما » .

أما عقوبة الظالم يوم يقوم الأشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ، فإنك تستطيع أن تتمثلها فى قول النبى : « إنّ الظلم ظلمات يوم القيامة . » ، وماذا عسى أن تكون الظلمات إلا تلك الشدائد والأهوال فى يوم الحساب ، يوم يظهر إفلاس الظالم ويلقى به فى نار جهنم ، ويحبط عمله مهما قدم من خير . قال النبى صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : « إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم قذف فى النار » .

وأما الشح : فإنه البخل بالمال والحرص عليه ، وهو يدعو إلى الظلم ويهتف به ، بل هو عند التحقيق باب من أبوابه . فمن حبس المال عن حقه ، وبخل على أخيه عند حاجته فهو من الظالمين فى أفحش أنواع الظلم وأشدها فتكا برابطة الجماعة ، وإيقاعا فى استباحة الدماء والمحارم ؛ لهذا قرن بينهما النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى أخرجه مسلم : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ،

مكتبتنا العربية

واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » . ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الضن بالمال يوجب التمادى فى حبه وإيثاره وكثيرا ما يجر ذلك إلى التعادى والتمادى فى الباطل فيقع الهرج والمرج وتستباح المحارم ويتجر فى الأعراض وإن التاريخ لشاهد صدق على ما فعل المال وإيثاره بالأفراد والجماعات مما جمع شمله بيان النبوة الكريم (إن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) .

ولهذا يقول الله سبحانه « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » والآية الكريمة تفيد أنهم المختصون بالفلاح وأن أهل الشح من الخاسرين .

وقد صور النبي صلى الله عليه وسلم كلا من السخى الكريم والبخيل اللئيم فى صورتين متعاديتين أحداهما محبوبة مطلوبة ينشدها كل من له بصر ليجد منها كل سعادة وظفر والأخرى بغيضة كريهة يفر منها كل من ذاق الإيمان فآمن بالله ورسوله واليوم الآخر عن يقين صادق وذلك فى حديث أخرجه الترمذى عن أبى هريرة والبيهقى عن جابر « السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار » فقد جمع للسخاء الخير كله ووجه إليه كل ذى طبع سليم .

فمن ذا الذى يرى طريقا إلى قربه من الله فلا يسلكه وهو مالك النواصى . ومالك الخير ومالك يوم الدين وهو على كل شىء قدير .

ومن ذا الذى يجد السبيل إلى حب الناس ورضاهم ثم لا يطرقه وهو الكنز الثمين والربح فى الدارين الرابحين .

من ذا الذى يرغب بشراء جنات تجرى من تحتها الأنهار أعدت للمتقين خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ثم يعرض عنها وينقلب عن سبيلها .

لقد ظفر السخى الكريم بكل تلك المزايا الكريمة . وكان البخل فى نقائضها وأضدادها وإن ما ثبت لأحد الضدين جدير أن ينتفى عن الضد الآخر لا محاله فقل لأولئك الجماعين إن كنتم تقدرون عاقبة الجمع والادخار فقد ساء تقديركم ووجب أن تحولوا دفتكم قبل أن تسجلوا الخسران هنا وهنالك على أنفسكم وإن كنتم لا تقدرون العاقبة إنكم لأغرار حمق تعملون فى غير تفكير .

مكتبتنا العربية

هل قرأتم فى الكتاب الكريم ، فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله إذا تردى ، فأنتم أيها البخلاء ميسرون للعسرى وهى أعمال الشر التى تودى لأنكم عناصر خبيثة مالم يرحمكم الله ويهدكم سبيل الرشاد .

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ، لقد جمع الله البخل مع القسوة العارمة والتكذيب بيوم الدين فى جهنم وبئس المصير ، أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » . « إلا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين » فهذه هى صفات أهل جهنم فالمرء وما اختار لنفسه — إن الشح مدعاة إلى الشره مضيعة للشرف دفاع بصاحبه إلى جمع المال من حله أو غير حله لمن ينفقه فى حله أو غير حله من الوارثين فأنتم تجمعون بشهوة الجمع ما لا تأكلون . فإذا كشف الغطاء فإنكم نادمون .

قال النبى صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال : فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر : إنكم أيها الأغنياء وكلاء الله فى التوزيع على عياله الفقراء فأحسنوا الوكالة وإلا قصم الله ظهوركم وفتك بكم أو بأعقابكم وما كان ربك نسيا « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كريم » .

إنه ما أمن بالله من بات شبعان وجاره جائع . ولا شكر نعمة الله من سار مزهوا بثيابه وجاره عريان ، وإن البخل ماهو إلا شك وسوء ظن بالقدر وما هو إلا فتنة من الشيطان ليوقع بين الناس العداوة والبغضاء والبطش والفتك واستباحة الدماء واستحلال المحارم وإلا فإن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا واتقوا الله وآتوا المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » اللهم اهد هؤلاء الناس حتى تعمر الأرض ويستقر السلام والوئام .

مكتبتنا العربية

تقـــــــدير ورجاء

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن حسن منبل
المدرس بمعهد القاهرة

إلى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر :

شاءت إرادة الله العلي القدير أن يكون حب المسلمين لك ، وميلهم اليك . ورضاهم عنك . مؤيدا بأدلة قاطعة وحجج ساطعة ، لا تدع للشك سبيلا ، ولا للريب مجالا ، فامتحنك فيما أبديت من حب للأزهر وأهله ، وأبرزك فى صورة تجلى فيها أيمانك . وشعت منها أنوار عقيدتك ، فأقصاك عن الأزهر فترة لتكون قلوب الأزهريين لك . وأفئدتهم معك ، بعد أن تبينوا اخلاصك وتأكدوا من حسن نياتك ، وتكشف لهم ما استتر عنهم ، حتى إذا أقبلوا عليك كانوا مخلصين ، وإذا وضعت أمورهم بين يديك كانوا مؤمنين بك آمنين .

واليوم وقد حقق الله للأزهر أمله . واستأنف الشيخ الأبى عمله ، واستعيدت للأزهر كرامته ، يفرح الأزهريون خاصة ، والعالم الإسلامى عامة . بتقلدك مشيخة الأزهر فقد أدرك الكل أسمى غاياته ، وأجل مطالبه ، وأعز أمانيه بعودة إمام المسلمين إلى رياسة الأزهر ، وقيادة الأزهريين .

ولا عجب فقد ناضلت من أجل الأزهر . وكافحت فى سبيله . راجيا أن يحتل الأزهر مكانته ويتبوأ بين الجامعات منزلته ، مستهينا بالصعاب . غير مكترث بالشدائد والعقبات . ولا مبال بغضب بعض الناس . ما دمت تعتقد أنك ترضى خالق الأرض والسموات . وكأنى بك تردد .

فياليت ما بينى وبينك عامر ... وبينى وبين العالمين خراب

ولا غرو فحياتك كلها بطولة . وتاريخك كله جهاد وتضحية . وذكريات عاطرة . فهذا بيانك الرائع ـ المعبر عن طيب النفس . وسلامة الضمير . ونقاء السريرة ـ لا زال يدوى فى أرجاء الدنيا . ويرن فى آذان المعمورة . يبين فى صراحة تامة . ووضوح لا يعتوره خفاء . وجلاء لا يشوبه ابهام أنك لا تخشى سوى ربك

مكتبتنا العربية

ولا تخاف غير خالقك، وكيف يخشى الناس من يرى أن المسجد قبلته . والطاعة غايته . فيقول فى بيانه (ما دام قول الحق لا يمنعنى من التردد بين دارى والمسجد فلا خوف) وصدق الله حيث يقول (أنما يخشى الله من عباده العلماء) .

وما لنا نذهب بعيداً والأمس القريب يحدثنا يوم أن جاءك الأزهريون . يشكون اليك الكرامة الضائعة . والعزة المفقودة . والحقوق المهضومة . فوقفت إلى جانبهم . وباركت حركتهم . وقلت كلمانك المأثورة (أنا لا أستطيع تكليف المظلوم كما لا أستطيع أن أجلس على هذا الكرسى وفى الأزهريين من لا يأكل أكلى ولا يشرب شربى) فلقيت ما يلقاه المصلحون . وما يتعرض له القادة العاملون ، فأبعدت عن الأزهر ولكنه ما نسيك . وتركته ولكنه ما تركك . ثم جاء بك اليوم اخلاصك وإيمانك لإتمام ما بدأت . وجنى ثمرة ما غرست وقد مكن الله لك (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) .

مولاى صاحب الفضيلة :

إن العالم جرفته المدنية وبهرته النواحى الشكلية . فاتجه إلى المادية . وانصرف عن الحياة الروحية . وقطع شوطا بعيداً فى البعد عن الحق . والتجافى عن الصدق . وقد أدرك اليوم خطأه . واستيقظ من سباته . وأخذ يتلمس الهدى فى الأرض عله يرى من يأخذ بيده فيقيله من عثرته . وينهضه من كبوته . وليس أمامه إلا الأزهر . وان يكون الأزهر معقد الأمل وموضع الرجاء . إلا إذا أصلح . وإصلاحه بإصلاح أبنائه وتقويم معوجهم وتهذيب نفوسهم . وتطهير أفئدتهم . وتربيتهم تربية دينية سليمة بعيدة عن الدنايا . حينئذ يحقق الأزهر للعالم ما يرجوه وللدنيا ما تؤمله (فاثنان إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمراء) كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولنا فى بيانك الذى أذعته . وفى برنامجك الذى وضعته . ما يزيل ألمنا ويحقق أملنا . بارك الله فيك . وحقق للدنيا الخير على أياديك فى ظل حامى الأزهر فاروق الأول ملك مصر والسودان .

مكتبتنا العربية

تحيـــة

للأستاذ الامام الشيخ عبد المجيد سليم

بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر بعد إعفائه منها فى سبتمبر سنة ١٩٥١

الفضيلة الأستاذ الشيخ يوسف النجار

لمثلك أيها الشهم الأبى ... يصوغ الدر حـــر أزهرى
فأنت أبو المكارم والمعالى ... وأنت العالم الثبت الرضى
سمت بك عزة فى النفس تاهت ... بمثلك أيها الفطن الذكى
أتتك إمامة الإسلام تسعى ... فوافاها الأريب الألمعى

****

وقد كنا نسائل كل يوم ... لماذا أعفى الشيخ الوفى ؟
فقيل وشاية حيكت ولكن ... سينصر ذلك الورع التقى
ونصر الله مكفول لقوم ... به اعتزوا فعـــزهم العلى
وجاءتنا البشائر هاتفات ... أتاكم للرياســـة عبقرى

****

فيا عبد المجيـد - ولا أغالى - ... إذا ما قلت : إنك تابعى
ويا عبد المجيد - عداك ذم - ... وأنت لدى المحامد أريحى
وأنت « سليم » مأمول الأيادى ... فأنت بكل مكرمة حرى
فسر بالسادة العلمـاء قدماً ... رعاك الله ذو العرش القوى
فهم نجب وأنت لهم إمام ... إذا ما سرت سار بك الكمى

****

يعيش الناس فى دنيا ضلال ... إذا لم يأتهم هاد تقى
ومن ذا يبتغى يوماً إماماً ... سواك ؟ (وقلبك الورع الرضى)
فهنيء منصباً يزهى بشيخ ... هو الشيخ الإمام « الأشعرى »
وما قلت القريض لغير شهم ... فشعرى حين أذكره أنى
فعش فى ظل « فاروق » مرجى ... فأنت صفيه وهو الولى
حمى الله المليك وشبل مصر ... « فؤاداً » إنه أمـــل بهى

مكتبتنا العربية

موازنات أدبية :

نونية ابن زيدون

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن جاد حسن
المدرس بكلية الشريعة

— ٢ —

نونية شوقى :

ها هو ذا شوقى يحج إلى الأندلس ، وينزل فى ضيافة ابن زيدون ؛ وكلاهما ربيب نعمة ومجد ؛ وكلاهما شاعر نكبته الأيام ، وأضناه النفى والتشريد ؛ وكلاهما أحب ، وفجعه البين فيمن أحب . أما ابن زيدون فقد أحب ولادة ، فكانت وحى قصيده ؛ وأما شوقى فقد أحب مصر ، وحنّ إليها ، وقد أقصى عنها أشد ما يكون كلفاً بها وصبوة إليها . وقد أثارت نونية ابن زيدون خواطره ، وذكرته بما أوحى بها من عوادى الزمن ، وقوادح الخطوب ، فأخذ يساجله لوعة بلوعة ، وشجناً بشجن . وكأنما قصد شوقى بنائح الطلح المفزع عن وكره ، المشرد عن ألفه ، ابن زيدون ، فكلاهما مظلوم يشكو إلى مظلوم ، ومصاب يحن إلى مصاب . قال شوقى مستهلا قصيدته بهذا المطلع الرائع :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا ... نشجى لواديك أم نأسى لوادينا
ما ذا تقص علينا غير أن يداً ... قصت جناحك جالت فى حواشينا
رمى بنا البين أيكا غير سامرنا ... أخا الغريب وظلا غير نادينا
كل رمته النوى : ريش الفراق لنا ... سهماً وسلّ عليك البين سكينا
إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدع ... من الجناحين عى لا يلبينا

ألا تحس أنه يخاطب ابن زيدون ويساجله الأسى واللوعة ؟ إنه ليخيل إلينا ذلك ، ولولا أنه يقول :

فإن يك الجنس يا ابن الطلح فرقنا ... إن المصائب يجمعن المصابينا

مكتبتنا العربية

لكان هـذا التخيل حقيقة واقعة . ثم يصور حنين الطائر ويبكى جراح جسمه وروحه . فيبكى جراحه هو ، ويصور حنينه :

لم تأل ماءك تحناناً ولا ظمأ ... ولا ادكاراً ولا شجـوا أفانينا
تجر من فنن ساقا إلى فنن ... وتسحب الذيل ترتاد المؤاسينا
أساة جسمك شتى حين تطلبهم ... فمن لروحك بالنطس المداوينا

ولـكن أليس فى هذا الفردوس الأندلسى ما يهدهد من أشجانه ، ويطامن من لواعجه ، ويكفكف من دموعه ؟ أليس لأهله حق عليه ؟ نعم إن سحر هـذا الأفق يستهديه فيسليه ، وإنه ليبال بدمعه ثرى أهله الراحلين . أولئك العرب الذى عمروا هذا الأفق ، وكان لهم فيه مجد وصولة :

آهاً لنا نازحيْ أيك بأندلس ... وإن حللنا رفيقاً من روابينا
رسم وقفنا على رسم الوفاء له ... نجيش بالدمع والإجلال يثنينا
لفتية لا تنال الأرض أدمعهم ... ولا مفارقهم إلا مصلينا
لو لم يسودوا بدين فيه منبهة ... للناس كانت لهم أخلاقهم دينا
لم نسر من حرم إلا إلى حرم ... كالخمر من بابل سارت لدارينا
لما نبا الخلد نابت عنه نسخته ... تماثل الورد خـيرياً ونسرينا
نسقى ثراهم ثناء كلما نثرت ... دموعنا نظمت منها مراثينا

ومهما تبلغ الأندلس من جمال الطبيعة ، وروعة الحضارة ، وجلال الآثار ، وسحر الأفق ، ومهما طاولت الخلد ، ونابت عن الجنان ، فإن مصر وطنه الحبيب ، لا يشغله عنها شاغل ، ولا يسليه عنها منظر ، ولا ينسيه جمالها جمال . أليس هو الذى يقول :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

إنه ليحن إليها ، ويشيد بها ، مهما أغضت عنه ، ونبت به ، فإن أغضاءها على حب ، وإن نبوها لخوف عليه من أعاديه :

لـكن مصر وإن أغضت على مقة ... عين من الخلد بالكافور تسقينا

على جوانبها رقت تمائمنا ... وحول حافاتها قامت رواقينا
ملاعب مرحت فيها مآربنا ... وأربع أنست فيها أمانينا
ومطلع لسعود من أواخرنا ... ومغرب لجدود من أوالينا
بنّا فلم نخل من روح يراوحنا ... من بر مصر وريحان يغادينا
كأم موسى على اسم الله تكفلنا ... وباسمه ذهبت فى اليم تلقينا

ويمضى على هذا النحو من الحنين إلى مصر كحنين ابن زيدون إلى قرطبة ، حتى يستنجد بالبرق ، ويحمله هذه الرسالة الوطنية :

بالله إن جبت ظلماء العباب على ... نجائب النور محدوا بجبرينا
حتى حوتك سماء النيل عالية ... على الغيوث وإن كانت ميامينا
وأحرزتك شفوف اللازورد على ... وشى الزبرجد من أفواف وادينا
فقف إلى النيل واهتف فى خمائله ... وانزل كما نزل الطل الرياحينا
وآس مابات يذوى من منازلنا ... بالحادثات ويضوى من مغانينا

كما يحمل الريح ما حملها ابن زيدون ، من زفرات البين ، وأنفاس اللوعة ، ووهج الأشواق :

هل من ذيولك مكىّ نحمله ... غرائب الشوق وشيا من أمالينا

ثم يصور حنينه ، وما يقاسيه فى ليله النابغى الطويل من لوعة ، وما يعانيه فى نهاره الحائل من وجد وتجلد :

ناب الحنين إليكم فى خواطرنا ... عن الدلال عليكم فى أمانينا
جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا ... فى النائبات فلم يأخذ بأيدينا
ونابغىّ كأن الحشر آخره ... تميتنا فيه ذكراكم وتحيينا
نطوى دجاه بجرح من فراقكمو ... يكاد فى غلس الأسحار يطوينا
يبدو النهار فيخفيه تجلدنا ... للشامتين ويأسوه تأسينا

ثم يصف زمان الأنس ، وليالى الصفو ، وأيام المسرة ، على نحو ما وصف ابن زيدون . إلا أنه يستطرد من ذلك إلى الفخر بمصر والمصريين ، بعد أن يشيد بفضلها [illegible] مفاخرها :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكتبتنا العربية

نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا ولم يهن بيد التشتيت عالينا
ولا يحول لنا صبغ ولا خلق إذا تلوّن كالحرباء شانينا
لم تنزل الشمس ميزانا ولا صعدت فى ملكها الضخم عرشا مثل وادينا
ألم تؤله على حافاته ورأت عليه أبناءها الغر الميامينا
إن غازلت شاطئيه فى الضحى لبساً خمائل السندس الموشية الغينا

وهذه الأرض من سهل ومن جبل قبل القياصر دناها فراعينا
ولم يضع حجرا بان على حجر فى الأرض إلا على آثار بانينا
كأن أهرام مصر حائط نهضت به يد الدهر لا بنيان فانينـــا

ثم يغلو به الحنين ، ويستبد به الشوق إلى أميه : مصر ووالدته بحلوان :

لو استطعنا لخضنا الجو صاعقة والبر نار وغى والبحر غسلينا
سعيا إلى مصر نقضى حق ذاكرنا فيها إذا نسى الوافى وباكينا
كنز بحلوان عنـــد الله نطلبه خير الودائع من خير المؤدينا
لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا لم يأته الشوق إلا من نواحينا
إذا حملنا لمصر أوله شجنا لم ندر أى هوى الأمين شاجينا

وهكذا يطول نفس شوقى ، وتتجلى عبقريته ، وتتفتح شاعريته ، فينساب فى كل جدول ، ويخوض فى كل يم ، ويحلق فى كل أفق ، ويسرح فى كل فضاء ؛ فهو لا يتناول المعنى كما يتناوله ابن زيدون فيمسه مساً رفيقا ، وإنما يحلله ويتعمقه ، ويستوفى عناصره ، ويستطرد إلى ما يتصل به ، ويخلع عليه من حلل الألفاظ ووشى الصنعة ، ما يختال به بهجة وترفا . وتلك ميزات العبقرية الفذة ، والشاعرية المتفتحة ، والاحساس الواعى ، والعقل المثقف بألوان المعارف . ومن هنا تدفق خياله وتنوعت معانيه ، وامتد أفقه الرحب ، حتى قاربت قصيدته التسعين بيتاً ، على حين لم تتجاوز قصيدة ابن زيدون الخمسين .

ومهما يكن من شىء هذا الطول ، وبالرغم من أن مرده من غير شك إلى توالى الصور ، وتتابع المعانى ، وتحليلها وتفصيلها ؛ فإن الذى يعنينا قبل كل شىء هو الاجادة

مكتبتنا العربية

وصدق الشعور ، وبراعة التصوير ، وجمال الخيال . فليس طول النفس وحده بالأمر الذى يدعو إلى المفاضلة بين الشاعرين ، ويسرع بنا إلى الوقوف بجانب شوقى ، والهتاف له ، واستحسان قصيدته . وليس كل تفصيل للمعنى بالشىء الذى يسيغه الذوق الأدبى عند النقاد .

وإلا فحسبك أن تقرأ مطلع ابن زيدون :

أضحى التنائى بديلا من تدانينا ونـاب عن طيب لقيانا تجافينا

إنه مطلع ضحل المعنى ، يكرر بعضه بعضا ، فالشطر الثانى هو نفس الشطر الأول ، وليس فيه من جديد على المعنى الأول . بينما تجد المطلع عند شوقى من أروع المطالع ، وألصقها بخيال الشعراء .

أما ما نقصد إليه فهو الموازنة بين تلك المعانى التى اشترك فيها الشاعران ، لنعرف أيهما أوسع مدى ، وأرحب أفقا ، وأتم شاعرية ، وأكمل عبقرية . فإلى مقالنا التالى ؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تفسير جزء تبارك

ألف حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد القادر المغربى نائب رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية بمصر كتاباً على أحدث الآراء العلمية فى تفسير جزء تبارك .

والأستاذ المؤلف غنى بمادته ، وسعة اطلاعه ، وحسن أسلوبه ، وبروزه فى ميادين العلم فى أنحاء كثيرة من العالم الإسلامى . فلا غرو إذا جاء تفسيره آية فى علو الفهم ، وحسن الأداء

مكتبتنا العربية

خلفاء بنى أمية
ورعايتهم للأدب

لفضيلة الأستاذ عبد الحميد محمود المسلوت
المدرس فى كلية اللغة العربية

الأدب نسب : يؤلف بين المتناقدين ، ويجمع بين المتباعدين ، ويربط شاعر أهله برباط قوى من العطف والتراحم ، حتى ليشعروا أنهم إخوة وإن تباعدت الأنساب وتناءت الأرحام .

لقد كان فى خلفاء بنى أمية حرص بالغ على الأدب ورعاية سامية للأدباء ، ذلك لما فطروا عليه من أذواق مرهفة ونفوس حساسة . وما أوتوا من بصر نافذ وعقول ناضجة وأفهام متزنة ، وعروبة مطبوعة تميز من غير جهد ولا تكلف .

ومن هنا عرفوا للشعراء أقدارهم وفطنوا لقيمهم وحاولوا الإستئثار بمدائحهم ، والاستمتاع بما تفيض به قرائحهم من قول بارع وقصيد رائع . ولقد كان الخلفاء يحرصون أشد الحرص على أن يتقرب الشعراء إليهم بقصائد الثناء ، وأن يخصوهم بها فلا يتجاوزوهم الى غيرهم من الولاة والعظماء ، حتى إن عبد الملك كان يحس فى نفسه موجدة على جرير لانقطاعه لمدح الحجاج ، وكلما حاول جرير أن ينشده منعه وقال له : إنما أنت شاعر الحجاج .

ولقد أراد الحجاج أن يقدم الى شاعره يدا بإنشاده بين يدى أمير المؤمنين فأوفده مع ابنه محمد إليه . فلما دخل عليه قال له أنشدنى ما قلت فى الحجاج فأنشده :

صبرت النفس يا ابن أبى عقيل ... محافظه فكيف ترى الثوابا
ولو لم يرض ربك لم ينزل ... مع النصر الملائكة الغضابا
إذا سعر الخليفة نار حرب ... رأى الحجاج أثقبها شهابا

قال : صدقت ، هات ، فأنشده :

ضربت لعهد هيجته المنازل ... وكيف تصابى المرء والشيب شامل

مكتبتنا العربية

يقول جرير : فما فرغت منها حتى خيلت الغضب فى وجه أمير المؤمنين . ثم قال هات ما قلت فى الحجاج ، فأنشدته :

هاج الهوى لفؤادك المهتاج فانظر بتوضح باكر الأحداج

* * *

من سد مطلع النفاق عليهم أم من يصول كصولة الحجاج
أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يثقن بغيرة الأزواج
إن ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا ماضى البصيرة واضح المنهاج

فلما سمع عبد الملك بن مروان هذا الشعر القوى الرائع أخذه الغضب وملكه الغيظ ، أن يمدح واليه بهذه المدح التى يتوق إليها ويتمناها ، فما زال يقدم الشعراء ويؤخر جريرا لذلك ، إلى أن توسل إليه محمد بن الحجاج فأذن لجرير فى مدحه ، فأنشده قصيدته :

أتصحو أم فؤادك غير صاح عشية هم صحبك بالرواح
يقول العاذلون علاك شيب أهذا الشيب يمنعنى مراحى

ثم قال :

تعزت أم حزرة ثم قالت رأيت الواردين ذوى امتناع [1]
تعلل وهى ساغبة بنيها بأنفاس من الشبم القراح [2]
سأمتاح البحور فجنبينى أذاة اللوم وانتظرى امتياحى
ثق بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح
أغثنى يافداك أبى وأمى بسيب منك إنك ذو ارتياح
فإنى قد رأيت على حقا زيارتى الخليفة وامتداحى
سأشكر إن رددت الى ريشى وأنبت القوادم فى جناحى
ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فطرب عبد الملك وجعل يقول : نحن كذلك وما زلنا كذلك . ثم قال له : أترى أم حزرة ترويها مائة ناقة ؟ فقال : إن لم تروها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله .

---

(١) امتنع : أخذ العطاء . (٢) ساغبة : جائعة أو عطشى والأنفاس : الجرعات جمع نفس أى جرعة الشبم البارد والقراح : الماء الخالص .

مكتبتنا العربية

ومما يدل على سلامة أذواق الخلفاء ورغبتهم فى إثارة السبق والمنافسة بين الشعراء، ما يؤثر من أن الفرزدق وجريرا اجتمعا عند عبد الملك، فقال الفرزدق: النوار طالق ثلاثا إن لم أقل شعرا لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه ولا يجد فى الزيادة عليه مذهبا فقال عبد الملك ما هو؟ قال:

فإنى أنا الموت الذى هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله
وما أحد يا ابن الأتان بوائل من الموت إن الموت لا شك نائله

فأطرق جرير ثم قال: أم حزرة طالق ثلاثا إن لم أكن نقضته وزدت عليه، فقال عبد الملك هات، فقد والله طلق أحدكما لا محالة. فأنشد:

أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكفيك يابن القين هل أنت نائله
أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجيئنى بمثل الدهر شيئا يطاوله

فقال عبد الملك للفرزدق: فضلك والله يا أبا فراس، وطلق عليك.

وكانت هبات الخلفاء وعطايا تجيء أحيانا فى صورة جوائز تمنح للسابق وتعطى للبرز، لإثارة عوامل المنافسة وغريزة السبق والغلبة... يروى أن جريرا والفرزدق والأخطل اجتمعوا فى مجلس عبد الملك، فأحضر بين يديه كيسا فيه خمسمائة دينار، وقال: ليقل كل منكم بيتا فى مدح نفسه، فأيكم غلب فله الكيس. فقال الفرزدق:

أنا القطران والشعراء جربى وفى القطران للجربى شفاء

وقال الأخطل:

فأن تلك زق زاملة فإنى أنا الطاعون ليس له شفاء

فقال جريرى:

أنا الموت الذى آتى عليكم فليس لهارب منى نجاء

فقال عبد الملك: لعمرى إن الموت يأتى على كل شيء، وحكم بالجائزة لجرير.

فهل بعد هذا إثارة الشياطين الشعر وتهييج لألوانه وبعث لجيده.

فهذا الإغداق إنما دعا إليه ما طبعوا عليه من دقة الفهم وسمو الذوق وصدق المعرفة لمواطن البلاغة وسحر البيان.

ومن أمثلة ذلك ما يروى من أن عبد الملك وصفت له جارية لرجل من الأنصار ذات أدب وجمال، فساومه فيها فامتنع وامتنعت، ثم أضعف لصاحبها الثمن وأخذها على كره منها، فأعجب بها عبد الملك وأمرها بلزوم مجلسه والقيام على رأسه، فبينما

مكتبتنا العربية

هى عنده ومعه ابناه الوليد وسليمان ، وقد أخلاها للمذاكرة إذ أقبل عليهما فقال : أى بيت قالته العرب أمدح فقال الوليد قول جرير فيك :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وقال سليمان بل قول الأخطل :

شمس العداوة حتى يستقادلهم وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

فقالت الجارية : بل قول حسان :

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

فأطرق عبد الملك ثم قال وأى بيت قالته العرب أرق ، فقال الوليد قول جرير :

إن العيون التى فى طرفها حور قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا

فقال سليمان ، بل قول عمر بن ربيعة :

حبذا رجعها إليها يديها من يدى درعها تحل الأزارا

فقالت الجارية : بل بيت حسان :

لو يدب الحولى من ولد الذ ر عليها لأندبتها الكلوم

ثم قال عبد الملك : أى بيت قالته العرب أشجع فقال الوليد قول عنترة :

إذ يتقون بى الأسنة لم أخم عنها ولكن تضايق مقدمى

فقال سليمان : بل قوله :

وأنا المنية فى المواطن كلها والطعن منى سابق الآجال

فقالت الجارية بل بيت كتب بن مالك .

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدما فيلحقها إذا لم تلحق

فقال عبد الملك للجارية : أحسنت ، وما نرى شيئا من الإحسان إليك أبلغ من ردك الى أهلك ، فأجمل كسوتها وأحسن صلتها وردها الى أهلها .

ومن شدة بصرهم بالشعر وألمعيتهم فى إدراك أسراره والوصول الى أغواره وتتبع خوافيه ، أن عبد الملك حين بلغه قول جرير يهجو الأخطل :

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم الى قطينا

قال ما زاد ابن المراغة على أن جعلنى شرطيا له ، أما والله لو قال : لو شاء ساقكم الى قطينا ، لسقتهم إليه كما قال ؟

مكتبتنا العربية

البـابية والبهائية

للأستاذ عمر طلعت زهران
أستاذ فى الآداب

— ٣ —

بعد أن دب الخلاف فى صفوف البابيين ، رأى البهاء أن يترك الميدان فترة من الوقت ، فاختفى فى ضيعة سركلو بمدينة السليمانية [أو شهرزور] فى كردستان ، ولبث معتزلا العالم عامين ، رجع بعدهما إلى بغداد .

وللخلاف بين الأخين قصة . فكل منهما يدعى أنه « من يظهره الله » ، فيقول أصحاب ـ صبح الأزل ـ إن البهاء قد خدعه وحجبه عن الناس ، وظهر هو بمظهر « من يظهره الله » . أما أصحاب البهاء فيقولون إن البهاء كان صاحب مقام خاص عرفه الجميع ، ولذلك كانت تحيط به أخطار كثيرة . فكتب بعض البابيين يطلبون من الباب تحويل الأنظار عن بهاء الله ، فأجابهم إلى ذلك فى أواخر أيامه ، فاتخذ « ميرزا يحيى » ستاراً يختفى وراءه البهاء ، ولقبه بألقاب الأزل والوحيد والمرآة . ثم أمر بعض الصحاب أن يشهروا اسمه بين عامة « الاحباب » حتى تتحول إليه الأنظار .

وقد اتخذ الباب حيطته حتى لا يتمكن ميرزا يحيى من الادعاء لمقام الأصالة ، فلم يعطه ألقابا صريحة مثل « الشمسية والمظهرية والمختارية » ، وإنما لقبه ألقابا ذات معنيين ، فكلمة وحيد تفيد : الوحيد فى الإيمان أو الوحيد فى الطغيان ، كما أبان فى « البيان » وفى كثير من « التوقيعات » عن لقب المرأة ، فقال : « لا يمكن للمرأة التجلى إلا فى ظل من يظهره الله » .

تلك هى روايات الفريقين ، وهى وحدها كافية للتدليل على بطلان هذه « الدعوة » الزائفة ، أما قصة « النبيين » فتستمر ، ولنا إليها عود .

* * *

رجع البهاء من منفاه الاختيارى ، فأخذ الناس يتوافدون إلى بغداد ، سواء

مكتبتنا العربية

يدفعهم حب الاستطلاع ، أو الرغبة فى الاستماع إليه . وعلى شاطىء الدجلة . كتب بعض الكتب والأشعار والأدعية ، وأشهر ما كتبه إذ ذاك « الكلمات الخفية » و « الأودية السبعة » . ولم يلبث البهاء طويلا حتى نقل إلى استامبول ، بعد أن اتفق سلطان تركيا وشاه إيران على ذلك . وقضى البهاء قبل مبارحته بغداد اثنى عشر يوما فى حديقة ، سماها البهائيون فيما بعد « حديقة الرضوان » ، وفيها أعلن لأخصائه سنة ١٨٦٣ م أنه هو الذى بشر به الباب . ويحتفل البهائيون بهذه الأيام احتفالا كبيراً . ولم يمكث البهاء فى استامبول طويلا ، فقد نفى منها إلى أدرنة ، وفيها جهر « برسالته » . ومن ذلك الحين عرف أغلب البابيين باسم البهائيين .

وفى أدرنة كتب البهاء « خطاباته إلى الملوك » يحثهم فيها على اعتناق « الدين الجديد » والإيمان به ، وكان يصاحبه فى منفاه أخوه صبح الأزل ، الذى جاهر « بنبوته » أيضا . فوجدت الحكومة التركية نفسها أمام جمعين يتطاحنان . فأرادت حسم النزاع ، بأن تفرق بين « النبيين » ، ففت أحدهما إلى جزيرة قبرص ، والآخر إلى عكاء . وكان اختيار مكان المنفى مصادفة محضة ، ولكن ما ترتب عليها من نتائج كان عظيما ، فإن صبح الأزل كان هو الذاهب إلى قبرص ، وكان نصيب البهاء عكاء . ومن هذا التاريخ نجد ثلاث فرق بابية : بابية خالصة لم تتبع أى الاثنين ، وبابية بهائية ، وبابية أزلية ، وقد حاب القدر الفرقة الثانية ، فبقيت وذاع أمرها بينما فنيت الفرقتان الأخريان .

وفى عكاء قاسى البهاء كثيراً ، وتوفى بها فى مايو سنة ١٨٩٢ عن خمسة وسبعين عاما ، ودفن فى قبر سمى « بيت البهجة » على سفح جبل الكرمل ، وترك وصية أعلن فيها تعيين ابنه عباس المعروف بعبد البهاء خليفة له ومفسراً لكلماته .

وأشهر كتب بهاء الله هى « الأقدس » ، وقد نهج فيه منهج القرآن فى ترتيب السور والآيات ، دون فيه « شريعته وأحكامه » ، وهو يتحدث فيه على درجتين : كلام على لسانه ، وكلام على لسان الله - جل وعلا - وسنذكر بعض « آياته » فيما بعد . وكتاب « ايقان » فى تفسير بعض آيات القرآن وبعض الألواح .

خلف عباس عبد البهاء أباه ، وقد ولد فى ٢٣ مايو سنة ١٨٤٤ ، أى نفس اليوم الذى أعلن الباب فيه دعوته الكاذبة . وصحب أباه فى سجنه وتنقل معه بين بغداد واستانبول وأدرنة وعكا أخيرا . وظل سجينا بها مع أبيه حتى سنة ١٩٠٨ ،

مكتبتنا العربية

حين أعلن الدستور العثمانى ، وأطلق سراح السجناء السياسيين والدينيين . وكان عبد البهاء ذكيا ، تلقى معرفة وعلماء كثيرا ، كما كان هو الرأس المفكر للبهائية ، فهو الذى جعل من أبيه شخصية فذة لها خطرها ، وهو الذى جعل البهائية تنتشر وتذيع فى العالم .

ولعلنا لا نغالى إذ نقول إنه لولا عبد البهاء ، لكان مصير البهائية البابية هو نفس مصير البهائية والأزلية ، إلا أنه نفخ فيها من عزيمته قوة ، ومن روحه مضاء ، فأخذ ينظم الاجتماعات بين أبيه البهاء وبين الرحالة من الأجانب ، مصطنعا فى ذلك أقوى طرق التأثير النفسانى . فكان الزائر يعالج أول الأمر بقصص عن البهاء وقداسته تهيئة للجو ، ثم يدخل ليقابل البهاء ، فيخلع نعليه ويسير على طنافس فى حجرات خافتة الضياء ، وفى نهاية صالة طويلة يجد شخصاً وقورا يعامله الجميع باحترام - إن لم نقل بتقديس - وهو البهاء ، لا يتكلم مع الزائر إلا كلمات معدودات ، بينما يأخذ عبد البهاء على كاهله العبء كله ، ويخرج الزائر ، وكله دهشة ، وقد تشبعت نفسه ولا ريب بهذا التأثير البسيكولوجى المهيأ . فيكتب عن البهاء كتابة تزيد من قدره . كما حدث فعلا فى هذه الأوقات .

وسافر عبد البهاء ، بعد أن أطلق سراحه ، إلى مصر وأوربا وأمريكا يدعو للدين الجديد . ولم يدع النبوة ، ولكنه كان يتصرف ويفسر كلمات الباب والبهاء حسب مقتضيات الأحوال . كما أنه وضع نظاما إداريا للبهائية ، وعين لرئاسة الدين من بعده حفيده (لابنته) شوقى أفندى وهو الرئيس الحالى . وبنى فى أيام عبد البهاء المعبد الثانى للبهائية فى مدينة ويلمت بجانب شيكاغو بأمريكا ، على طراز المعبد الأول فى مدينة عشق أباد بتركستان الروسية .

ومات عبد البهاء فى نوفمبر سنة ١٩٢١ ، وقد قارب الثمانين ، وسار وراء جثته خلق كثير من مختلف الأديان ، خاصة وقد أسبغت عليه الحكومة البريطانية أحد ألقابها ومنحته بعض نياشينها تقديرا لمجهودات بذلها فى الحرب العالمية الأولى . ولعل فى هذا ما يفسر التسهيلات الكبيرة التى كان يلقاها عبد البهاء منذ سنة ١٩١٧ إلى مماته .

وبهذا نكون قد أرخنا لأهم شخصيات البابية والبهائية ، وبقى أن نتناول « الدين البابى البهائى » نفسه فى مقالاتنا التالية .

مكتبتنا العربية

أثر التفرق فى الاندلس

لفضيلة الأستاذ الشيخ السيد شريف
المدرس بالأزهر

أتم عبد الرحمن الداخل توحيد بلاد الأندلس . وأمن أطرافها . وأعلى شأنها وأرسى قواعدها ، ودفعها إلى الأمام تضرب فى ميادين التقدم والنهوض بخطى واسعة وهمة فتية ، وعزم قوى ، ونشاط بالغ ، وتعهد هذه النهضة خلفاؤه من بعده فى جد ومثابرة ، لتبلغ الغاية التى يرقبونها ، والهدف الذى يقصدون إليه . حتى ازدهرت بقاع بلادهم الخصيبة بمجهود الفاتحين ، وتقدمت بأرجائها العلوم والآداب والفنون . وأينعت بها علوم الرياضة والفلك والنبات والتاريخ والفلسفة والتشريح . وعنوا عناية كبيرة بكل ما يؤدى إلى رقى باهر ، وحضارة سامية . جعلت أسبانيا المسلمة مطمح الأنظار ، ومعقد الرجاء ، ومحط الرحال .

وكانت تمتاز مع هذا بطيب هوائها . ووفرة خيراتها ، ورقة أهلها ، وما طبعوا عليه من حس مرهف ، وكرم وأريحة ، وخلق يأبى الضيم ، ويسرع إلى النجدة ، ويرعى الجار ، ويفى بالعهد ، ويدين بالوفاء ، ويقدس التسامح ، ويستعذب البذل دفاعا عن الدين ، وزيادا عن الوطن ، حتى قيل إنهم جمعوا بين حكمة اليونان ، وفروسية الرومان ، وهمة العرب وصبرهم . وقد تعلقوا بحب بلادهم ، وكانوا معجبين بها أيما إعجاب ، ولا يبغون عنها بديلا مهما نالهم فى غيرها من حفاوة وجده .

وقد روى أن أديبا من أهلها وهو أبو عمران موسى بن سعيد كتب إليه أحد الوزراء يرغبه فى النقلة إلى مراكش فأبى وكتب إليه كيف أفارق الأندلس . وقد علم سيدى أنها جنة الدنيا بما حباها الله من اعتدال الهواء وعذوبة الماء وكثافة الأفياء ، وأطنب فى كتابه يعدد محاسنها . وبقيت قبلة أهل المشرق تهفوا إليها العقول المتعطشة إلى الرى بالمصفى من علومها وآدابها . ويتعشق حب

مكتبتنا العربية

الرحيل إلى حواضرها وقراها ذووا النفوس التى تبتغى الاستمتاع بجمالها الذى دبجته يد الطبيعة من مروج وبساتين ، ومياه متدفقة ، وأشجار باسقة ، وخمائل جميلة . إلى أن تسلل إليها فى نهاية القرن الخامس الهجرى .

ذلك الداء الوبيل الذى تمكن منها بعد فترة وجيزه ، فأنهك قواها وفت فى عضدها ، وأقعدها عن السير . وصرفها عن التفكير فى ربط الحاضر بالغابر ، وهو داء التفرق والخلاف ، حينما تقطعت أوصال الدولة إلى ولايات ، كل ولاية عليها أمير . وتأصلت فيهم رغبة ملحة فى أن يبسط كل منهم رقعة إمارته على أنقاض غيره ، مستهينا بما يتحمل فى سبيل تحقيق رغبته من محن وآلام ، وبما يأتيه من عمل لا يتفق ، وما يوحى به واجب الجوار وبسبب هذا قد تأرثت بينهم العداوة والبغضاء ، وطويت جنوبهم على الغل والحقد . وجرت على ألسنتهم عبارات الخديعة والرياء ، وعاشوا فى جو من عدم الثقة والاطمئنان .

وكان المعتمد بن عباد يعمل على إثارة الحروب الأهلية بين الأمراء ، فيحرض بعضهم على بعض ، إضعافا لهم ، وخضدا لشوكتهم ، ولم تسلم من اضطرام لظاها سائر جنبات الأندلس ، تحمل إلى مروجها الجميلة صنوف التخريب والتدمير ، وكانت قرطبة ، وأشبيلية ، وطليطلة ، أطراف هذه المحنة الخطيرة التى قضت فيما بعد على مستقبل الإسلام ، ولقد بلغ ببعض الولاة فى سبيل تنفيذ أمله ، وتحقيق مقصده والبلوغ إلى هدفه أن يستنصر بملك النصارى كما فعل ابن ذى النون ملك طليطلة مع فرديناند الأول ملك قشتاله ، فقد حالفه ليأمن جانبه حين أزمع الهجوم على ابن جهور بقرطبه ، ولكن فرديناند خاس بعهده فى النهاية واستولى على طليطلة بتحريض من ملك أشبيلية مدبر هذه النكبة الجسيمة التى كان لها وقع هائل فى الأندلس ، وفى العالم الإسلامى بأسره ، وكذلك أنهض يوسف بن أحمد بن هود صاحب سرقسطه لذريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية ، فحاصرها ولكن الفقيه القاضى بن جحاف عقد معه هدنة خاس فيها أيضا ، ثم أحرقه بالنار ، وعاث فى بلنسية فساداً . وفيها يقول ابن خفاجة :

عاثت بساحتك الظبا يا دار ومحا محاسنك البلى والنار

مكتبتنا العربية

أرض تقاذفت الخطوب بأهلها وتمخضت بخرابها الأقدار
فإذا تردد فى جنابك ناظر طال اعتبار فيك واستعبار

ويقول أبو عبد الله بن الآبار القضاعى يستنهض صاحب إفريقية للدفاع عنها حينما حاصرها ملك برشلونه النصرانى . من سينيته الفريدة :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
ما للجزيرة أضحى أهلها جزرا للحادثات وأضحى جدها تعسا
وفى بلنسية منها وقرطبة ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا

وكشف سقوط طليطلة واستذلال بلنسية ثم سقوطها ، وسقوط بعض الإمارات عن ضعف أمراء الطوائف نتيجة لتفرقهم ، وصور لهم أشباح العبودية والموت تتعانق فى مستقبل مشئوم يتطلب ضم الصفوف ، ونسيان الأحقاد ، واجتماع القلوب على التضحية والبذل والإيثار وتكران الذات لوقف تيار البغى والعدوان ، وقد دعا ذلك عقلاءهم إلى أن يفكروا فى الأمر مدفوعين بالأثر الأليم الذى أحدثه سقوط طليطلة أولا أحدى قواعد الأندلس ، والحجر الأول فى صرح الدولة الإسلامية ، وسقوطه إنما هو نذير بانهيار الصرح كله .

ونهض تحقيقاً لتلك السياسة أبو الوليد قاضى باجه وكان شيخاً ذا نفوذ ومكانة . فطاف بالولايات والمدن ، وتجول فى ماردة وغرناطة واشبيلية صائحاً منذرا . ومحذراً من عواقب التفرق ، مؤكداً أن ملك قشتالة سيهلك ملوك الطوائف كلها . إذا لم تسارع إلى الاتحاد والتعاون ، ولكن جهوده وجهود أمثاله من الرسل العقلاء الذين كانوا يستشفون ببصرهم الثاقب ما يضمره المستقبل من ويل وهول ذهبت جميعها أدراج الرياح ، وعلت الأطماع والأهواء الشخصية على كل مبدأ حكيم ، واندفعوا فى شقاقهم ـ آفة الأمم منذ بدء الخليقة ـ وكان له فى أمم الإسلام أسوأ الآثار . وأقسى التجارب فى بلاد المشرق والمغرب ، ذاقوا مرارته ، وتحملوا ويلاته ، ولم يستبينوا النصح إلا بعد أن كشف لهم الفونسو ملك قشتالة عن نياته . ولم تقف أطماعه عند أمد ، وجاوزت رغباته كل مدى ، وأخذ يثب على الإمارات واحدة تلو الأخرى . ثم طلب أخيراً من ابن عباد أقوى أمراء المسلمين أن يسلم

مكتبتنا العربية

إليه بعض قلاعه ، فهاله ذلك وطرد رسله ، ونبذ فكرة التغلب التى كان يدين بها ، وكانت سبباً فى إشاعة روح الحقد والشحناء بينهم ، ومن أقوى العوامل التى دفعتهم إلى التنافس فى سبيل التحالف مع ملوك النصارى مما أدى إلى ذهاب ريحهم ، وتيسير أسباب التسلط عليهم باستجابتهم لكل ما طلبه العدو فى إماراتهم من قلاع وحصون ومال وعتاد . نبذ ابن عباد فكرة التسلط ودعا إلى مؤتمر عام حضره الأمراء ، وبحثوا فى صراحة لا تعرف المواربة الأسباب التى أدت إلى خذلانهم ، وانتصار عدوهم ، وإلى ضعف قوتهم ، وتماسك خصومهم ، وقد تكشف لهم الداء ووضح لجميعهم أن الدواء الذى يشفى علتهم ، ويبرىء سقمهم . ويرأب صدعهم ، إنما هو اتحاد كلمتهم تنفيذاً للمبدأ الإسلامى الذى يجعل من المؤمنين أخوة تجرى المودة والمحبة فى عروقهم ، وتؤمن بالوفاء والإيثار قلوبهم ، وتنأى عن الأغراض والمآرب هممهم إذ ذاك أجمعوا أمرهم ، وملوا شعثهم ، واتفق رأيهم على أن يتجهوا إلى « يوسف بن تاشفين » ملك بلاد المغرب ليعبر إليهم البحر فاستجاب إلى رغبتهم تدفعه النخوة الإسلامية إلى المساهمة فى الدفاع عن الإسلام ، وإنقاذ المسلمين مما جره عليهم تنازعهم ، وتشعب أهوائهم من مهانة واستذلال ، وليحقق أمله المرجى الذى طالما تاقت نفسه لتحقيقه ، وهو أن تمتد فتوحه إلى بلاد الجزيرة التى سمع عن حضارتها وعمرانها الكثير من الأخبار ، ثم جمع جموعه ودخل الأندلس وحالفه النصر على ملوك النصارى فى موقعة الزلاقة ، وبعد مدة أمضاها بالأندلس قفل راجعا إلى بلاده ، وترك الجزيرة تلعب بها الأهواء مرة أخرى ، وتفرخ فى أرضها الفتن ، وتثور بها القلاقل من جديد ، وانحدرت نتيجة لذلك فى وهاد من الضعف والانحلال ، وأخيراً انحصر هذا الملك المترامى الأطراف وانكمشت رقعته وتمثل تاريخه المجيد وعظمته الخالدة ، وحضارته التالدة فى مدينة غرناطة التى مدت فى عمر المسلمين بهذه الديار نحو أربعة قرون ، ثم كانت النهاية المحتومة ، وسلم المسلمون آخر معاقلهم إلى العدو الغادر بعد أن استنفدوا كل وسائل الدفاع وقطع فرديناند الخامس على نفسه للمسلمين كل العهود التى تضمن لهم الأمن والطمأنينة على حياتهم وأموالهم وأعراضهم وشعائرهم فى ظل الحكم الجديد . وسنبحث فى الكلمة القادمة قيمة هذه العهود ؟

مكتبتنا العربية

الاســـــتحياء من الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد ابراهيم الحفناوى
وكيل معهد سمنود الدينى

الحياء شعبة من الإيمان ومن لا حياء فيه لا خير فيه . به كمال الإنسانية وسمو البشرية . لا يصدر إلا عن طبع رقيق . يدفع إلى طاعة الله ويمنع عن عصيانه ، وينظم سلوك الناس بما يسعد المجتمع ويرفع من بنيانه فإذا اتخذه المؤمن شعاره ، وجعله فى تقربه إلى الله مناره فقد هدى إلى صراط مستقيم ، وظفر فى دينه ودنياه بالخير العميم . . ولهذا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه . وحث المؤمنين جميعا عليه ؛ وبين أسبابه ومقوماته وفصل وسائله وأوضح غاياته . حيث قال فى جوامع كلمه . استحيوا من الله حق الحياء . قيل وكيف ذلك يا رسول الله . قال : من حفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وذكر الموت والبلى . وترك زينة الحياة الدنيا . وآثر الآخرة على الأولى فقد استحيا من الله حق الحياء . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فما الإنسان إلا رأسه وبطنه . يجتمع فيهما حواسه وشهواته ؛ وتنفجر منهما ميوله وخطراته . ففى رأسه عقله وسمعه وبصره وفمه ولسانه ، وفى بطنه أوعية شرابه وطعامه وأجن غرائزه وأخطر جوارحه . فإذا حفظ هذه الأشياء وصانها عن العبث ووجهها إلى الدين والخير وابتعد بها عن طريق الضلال والشر . فقد أرضى الله ووقف بها عند حكمته . وأحسن شكره على نعمته . . وحفظ العقل يكون بإبعاده عن وساوس الشيطان ومنعه عن البحث فى ذات الرحمن . . ويكون بالتفكير فى جلال الله وعظمته وإدراك أسراره وحكمته وإعطائه ما تستحقه الربوبية من إخلاص العبادة وصدق العبودية . . . وحفظ السمع يكون بإعراضه عن اللغو وعزوفه عن الهجر وبذلك يكون أصم عن الشر سمّاعا للخير .

وحفظ البصر يكون بتوجيهه إلى آيات الله فى الكون ليعتبر ، ويغضه عن محارم الله حتى لا تستهوى النفوس .

وحفظ الفم يكون بكمه عما حرم الله ؛ والقصد فيما أحله .

مكتبتنا العربية

وحفظ اللسان يكون بألا ينطق إلا بالحق ولا يتكلم إلا بالصدق .

وحفظ البطن يكون بحل ما يستقر فيها من الطعام والشراب ؛ بالقدر الذى يمسك الأود ويقيم الأصلاب وبهذا تحفظ الغريزة البهيمية من حق يدفعها إلى الفاحشة ويزين لها المواقف الطائشة .

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الشريف ما يعين المؤمن على حفظ هذه الأشياء ويسهل له السيطرة عليها ليتحلى بالحياء فدعا المؤمن إلى ذكر الموت وفى ذكره تبصير بالمصير الذى ينتظر كل العالم . وتنبيه إلى الغاية التى يسير الله اليها كل مخلوق . . فمتى أيقن الإنسان بمحتوم الأجل زود نفسه بالتقوى وتدرع بصالح العمل . ومتى جعل الإنسان نصب عينيه أن كل نعيم لا محالة زائل وأن كل شىء ما خلا الله باطل . فقد سخر من الدنيا وزهرتها وآثر الآخرة على الأولى وزينتها . وجعل همه من دنياه أن تكون مزرعة لأخراه فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء وفاز من رحمة ربه بأحسن الجزاء . . هذا خلق قويم من أخلاق الإسلام يكبح جماح النفس ويبطل كيد الشيطان . . ويحرس كل الفضائل ويطهر عبودية الإنسان .

وإذا كان الاستحياء من البشر يمنعنا من التبجح فيهم ويدفعنا إلى اتيان مايرضيهم ويوقفنا منهم موقف الأدب والخشوع ويطبع جوارحنا بطابع من الانكسار والخضوع . فكيف لا نستحي من الله حين نجعل حياءنا منه أقل من حيائنا ممن سواه وكيف نجعل حياءنا من المخلوق أكثر من حيائنا من الخالق وكيف لا نستحي من المعبود فوق ما نستحي من العابد ومن أحق بالاستحياء منه من الله . فمنه البدء وإليه المرجع وله الخلق والأمر وبيده النفع والضر وإذا كنا نستحي من المخلوق وهو لا يرى منا إلا ما ظهر فكيف لا نستحي من اللطيف الخبير الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

لهذا يقول الله فى الحديث القدسى يا بنى آدم إن كنتم تعتقدون أنى لا أراكم فالخلل فى إيمانكم وإن كنتم تعتقدون أنى أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين اليكم .

وفقنا الله إلى الاستحياء منه ونزهنا عن الخضوع إلا إليه وهدانا جميعاً إلى معرفة حقه من الطاعة والامتثال .

ومكن للمسلمين فى الأرض وحقق لهم الآمال .؟

من تاريخ ما قبل البعثة :

ورقة بن نوفل

الداعية إلى التوحيد فى أرض الوثنية

لفضيلة الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

المدرس بكلية اللغة العربية

— ٢ —

شاء الله أن ينقذ الإنسانية ، ويهدى البشرية ، إلى النور والخير والتوحيد : فولد رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله عليه واستبشر بميلاده الكون ، وعم الفرح والبشر كل مكان .. وشب رسول الله ونما ، سيدا شريفا ، ونبيلا سريا ، وفتى زكيا ؛ حتى كان فى الثالثة عشرة من عمره ، فخرج به عمه أبو طالب إلى الشام فى تجارة ، وفى بصرى قصبة حوران والبلاد العربية الخاضعة لحكم الروم رآه بحيرا الراهب ، فرأى الآية الكبرى ، والمعجزات الناطقات ، فأخذ يحدث محمدا ويسأله ، ثم قال لعمه : اذهب بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود ، فإن له لشأناً ؛ وتحدث من كانوا مع أبى طالب بهذا فى مكة ، وسمعه ورقة ، فآمن بقرب ظهور النبى المرتقب ، والرسول الأمى الذى يخرج من بلاد العرب لهداية الدنيا وإنقاذ العالم من الشرك والضلال .

وخرج محمد بن عبد الله ، وقد تخطى العشرين عاما ، إلى الشام فى تجارة لخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، ابنة عم ورقة ، أمينا حفيظا عليها . وكانت خديجة سيدة جليلة ذات يسار وتجارة ؛ وكان مع محمد فى رحلته غلامها ميسرة . فذهبا إلى الشام وباعا وابتاعا وربحا ثم عادا إلى مكة ، وأخبر ، ميسرة ، سيدته بما شاهد من مخايل الاصطفاء المحمدى ، وإظلال الملائكة والغمام له ، وأحاديث الأحبار عنه . فذهبت خديجة إلى ورقة تذكر ذلك له . فقال : أن كان هذا حقا [illegible] أنه كائن هذه الأمة ينتظر هذا [illegible]

مكتبتنا العربية

وصار ورقة حكيم العرب وشيخها ، وعالمها وفقيهها ، وحبرها الخبير بأحداث الدهر وتجارب الأيام . وازداد مكانة فى قومه ، وازداد قومه له إجلالا وتقديرا ؛ فكانوا يصدرون عن رأيه ، ويستهدون بمشورته ، ويتفاءلون بنصائحه وفراسته وصدق إلهامه .. وكان فى الخامسة والسبعين من عمره ، ومحمد بن عبد الله صلوات الله عليه فى الخامسة والعشرين .

وكان ورقة يتفاءل بمستقبل حافل عظيم لمحمد ، ويتطلع إلى ما سوف تظهره عناية الله على يديه من هدى ونور ورحمة وخير للانسانية .

واستشارته خديجة بنت خويلد ، ابنة عمه ، فى الزواج بمحمد : فهنأها من أعماق قلبه بهذا الجَدّ السعيد ، والزوج الكريم ، محمد بن عبد الله ، الأمين المؤتمن ، والصادق الصدوق .

وأخذ ورقة يبشر الناس بأن محمدا سيكون نبي العرب ، والرسول المرتقب ، الذى يختاره الله من بين الخلق لإبلاغ رسالته إلى الناس كافة .. وجعل يتلهف أن يرى أيام بعثته ، وأن يظهر نور الله ، وينزل ناموسه إلى الأرض ، وهو حى ليؤمن به ويصدقه ويؤازره وينصره ... وأخـــذ يستبطىء الأمر ، ويقول : حتى متى أمر الله !!.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وكانت خديجة تقص عليه ماتشاهد من كرامات زوجها محمد بن عبد الله ؛ وورقة يزداد إيمانا بأن محمداً هو النبي المدخر لهداية الناس والدنيا ... ومن قوله فى ذلك :

لججتَ وكنتَ فى الذكرى لجوُجا ... لهمٍّ طالما بعث النشيجا (١)
ووصف من خديجة بعد وَصف ... فقد طال انتظارى ياخديجا
بأنَّ محمداً سيسود يوماً ... ويخصم من يكون له حجيجا
ويُظهر فى البلاد ضياء نور ... يُقيم به البرية أن تموجا

وصار ورقة يستزيد ابنة عمه خديجة من أخبار بعلها وفتاها ، ويسأل عن محمد ليل نهار ... ويعلن فى الناس أن محمداً مدخر لأمر عظيم . ويقول :

وأخبار صدق خُبّرتْ عن محمد ... يخبرها عنه إذا غاب ناصح

(١) اللجاجة : التمادى فى الأمر . النشيج : مثل بكاء الصبى يردده فى صدره

مكتبتنا العربية

غزوة الحديبية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود محمد المدنى
المدرس بالأزهر

— ١ —

جاءت الدعوة المحمدية فحاولت قريش أن تخنقها فى مهدها بما أقامت فى طريقها من عراقيل وأشواك ، وبما أقدموا عليه من حرب طاغية ، تارة بالنيل من نفسه ، وأخرى بإيقاع الأذى بمتبعيه حتى فرضت عليه الحصار فى شعاب الجبال ، وقطعت عنه الزاد ، وحرمت المسلمين من إقامة شعائر دينهم ، وهم يتزايدون على مر الأيام ويكثرون ، ولا يزيدهم هذا العنت فى الخصومة واللجاجة فى العناد إلا إصراراً على التمسك بدينهم ، والفناء فيه ، واستعذاب الموت فى سبيله ، والتلذذ بالألم ، وتقبله بنفوس مطمئنة إلى نصر الله ، وحادث تعذيب بلال وعمار بن ياسر وأبيه وأمه ، ترينا أكبر صورة عن مدى الثقة فى الله ، والاطمئنان إلى دعوة الحق

فتاك الذى وجهت يا خير حرة ... بغوروفى النجدين حيث الصحاصح[1]
إلى سوق بصرى فى الركاب التى غدت ... وهن مع الأحمال قعص دوالح[2]
يخبرنا عن كل حبر بعلمه ... وللحق أبواب لهن مفاتح
بأن (ابن عبد الله أحمد) مرسل ... إلى كل من ضمت عليه الأباطح
وظنى به أن سوف يبعث صادقا ... كما أرسل العبدان : هود وصالح

وكان ورقة ينشد الشعر يتشوق فيه إلى إنجاز وعد الله ، وكريم رحمته ، وعظيم رعايته للحياة والإنسانية ، بإرسال رسول من العرب إلى الناس ليهديهم سواء السبيل ... وكان يمنى نفسه بأن يرى بعثته ليؤمن به ويصدقه وينصره .

وهكذا عاش ورقة كريما مبجلا ، سيدا شريفا سريا ، حكيما متدينا ، متطلعا إلى التوحيد ، إلى أن بعث محمد بن عبد الله ؟

---

(١) جمع صحصح : ما استوى من الأرض ، وأرض صحاصح : ليس بها شىء ولا شجر ولا قرار للماء

(٢) قعص من قعصه إذا قتله قتلا سريعا . دوالح من دلح البعير إذا مر حمله مثقلا

مكتبتنا العربية

غزوة الحديبية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود محمد المدنى
المدرس بالأزهر

— ١ —

جاءت الدعوة المحمدية فحاولت قريش أن تخنقها فى مهدها بما أقامت فى طريقها من عراقيل وأشواك ، وبما أقدموا عليه من حرب طاغية ، تارة بالنيل من نفسه ، وأخرى بإيقاع الأذى بمتبعيه حتى فرضت عليه الحصار فى شعاب الجبال ، وقطعت عنه الزاد ، وحرمت المسلمين من إقامة شعائر دينهم ، وهم يتزايدون على مر الأيام ويكثرون ، ولا يزيدهم هذا العنت فى الخصومة واللجاجة فى العناد إلا إصراراً على التمسك بدينهم ، والفناء فيه ، واستعذاب الموت فى سبيله ، والتلذذ بالألم ، وتقبله بنفوس مطمئنة إلى نصر الله ، وحادث تعذيب بلال وعمار بن ياسر وأبيه وأمه ، ترينا أكبر صورة عن مدى الثقة فى الله ، والاطمئنان إلى دعوة الحق

فتاك الذى وجهت يا خير حرة ... بغوروفى النجدين حيث الصحاصح[1]
إلى سوق بصرى فى الركاب التى غدت ... وهن مع الأحمال قعص دوالح[2]
يخبرنا عن كل حبر بعلمه ... وللحق أبواب لهن مفاتح
بأن (ابن عبد الله أحمد) مرسل ... إلى كل من ضمت عليه الأباطح
وظنى به أن سوف يبعث صادقا ... كما أرسل العبدان : هود وصالح

وكان ورقة ينشد الشعر يتشوق فيه إلى إنجاز وعد الله ، وكريم رحمته ، وعظيم رعايته للحياة والإنسانية ، بإرسال رسول من العرب إلى الناس ليهديهم سواء السبيل ... وكان يمنى نفسه بأن يرى بعثته ليؤمن به ويصدقه وينصره .

وهكذا عاش ورقة كريما مبجلا ، سيدا شريفا سريا ، حكيما متدينا ، متطلعا إلى التوحيد ، إلى أن بعث محمد بن عبد الله ؟

---

(١) جمع صحصح : ما استوى من الأرض ، وأرض صحاصح : ليس بها شىء ولا شجر ولا قرار للماء

(٢) قعص من قعصه إذا قتله قتلا سريعا . دوالح من دلح البعير إذا مر حمله مثقلا

مكتبتنا العربية

والقوة ، دعوة الرسول لدين الله ، وما كان يقوله هؤلاء المعذبون حين يشتد بهم الكرب أحد أحد ، ومرحباً بالجنة فإنا إليها مشتاقون .

دام ذلك الصراع القوى الجبار بين كفار قريش والمصطفى صلى الله عليه وسلم يسير بدعوته قدماً لا يلويه عنها تهديدهم ، ولا يثنيه جبروتهم ولا إجرامهم الذى بلغ مداه فى العمل على إيقاف الدعوة الدينية .

ولما رأى المصطفى أن قريشاً تمعن فى تحديها للمستضعفين من المسلمين أمرهم بالفرار بدينهم إلى أرض يتمكنون فيها من القيام بواجبهم الدينى من غير أن يلحقهم عنت أو إرهاق ، ويبقى هو يجالد قريشاً ويسمعهم زواجر القرآن وروادعه ، ويقرع باطلهم بحق الله القوى ، وآياته الباهرة التى تقهرهم ، وتدحض حججهم ، ولكن القلوب التى ران عليها الجهل ، وطمس الله عليها ، فلا تحس ما حولها من دلائل قدرته لأنها قد عميت الدلائل المشرقة التى تسفر عن جلال الله وعظمته سفور الشمس فى اليوم الصحو .

ومع ذلك فيمعنون فى عدوانهم ، ويصمون آذانهم عن سماع الحقيقة المدوية التى تقرع أدمغتهم فيحنون رؤسهم أمام عظمتها ، ولكنهم لضلالهم يزيدهم ذلك إسفافاً ليس وراءه حد ، وفى النهاية هم الفاشلون . والدعوة سائرة فى طريقها بخطى وئيدة ، وكلما بهرتهم الحجة ورأوا نجمه يظهر كلما أخذتهم لوثة الحمى ، فازدادوا فى أذاهم حتى أذن الله للدعوة أن تتطور فيمم المصطفى وجهه إلى يثرب ليجد جواً أوفق يصلح لنشر دعوته ، وتبليغ رسالته بصورة أوسع ، وقدر أن يكون ذلك المكان فى طريق قريش حين صعودها بتجارتها أو بنزولها بها .

وقد استقر به المقام فى يثرب ، عربها كلهم مؤمنون عن يقين ، ويهودها قد أخذ عليهم العهد فأخذ ينظم شؤن أتباعه ومعيشتهم ، والله ساهر عليه يرعاه ، فأرسل له قريشاً فى صورة العير ليقتل أساطينهم ، ويأسر فحولهم ، وتتناقل الأخبار بذلك الانتصار انتصار العقيدة الثابتة ، يسندها اليقين القوى بأن الله ينصر من ينصر دينه ويقابل المصطفى شرذمة الكفر مع جبروتها ، وكثرة عددها ، واستكمال عدتها فى رجاله الذين باعوا أرواحهم بيع السماح فى سبيل نصرة دينهم اقتداء بقوله تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » . وبذلك يكتب التاريخ أن الباطل فى ظاهر

مكتبتنا العربية

القوى الجبار لا يلبث أمام نور الحق إلا أن تخمد ناره . ويخبو أواره ، ويغنم المسلمون العز والسؤدد مع الأسلاب والأشياخ من قريش ورقة المصطفى تقضى بقبول الفدية من غنيهم والعفو عن فقيرهم مع شدة العداوة ، ولم لا يكون كذلك ومن يعفو إذا لم يعف هو صلى الله عليه وسلم .

إلا أن عناد قريش لم يقعدها أمام تلك الهزيمة المنكرة ، بل تركب رأسها ، وتنازل المصطفى المرة والثانية ، وفى كل مرة تؤلب عليه ما حولها من الذين ينزلون على رأيهم حتى كتب عليهم الذل فى غزوة الأحزاب بعد أن ظنت أنها بما جمعت فى الخارج ، وما دسته عليه مع اليهود من الداخل أنها واصلة إليه ، وأنها ستضربه الضربة التى لا قيامة له بعدها ، وأن تخنق الدعوة فى مهدها هى ترسم والعناية تحف به ، ويأبى الله لدينه إلا أن يشع نوره حتى يعم الآفاق ، ففرق جمعهم وأشاع الخلاف فى صفوفهم ، وأدخل الرعب والفزع فى قلوبهم حتى جعل الواحد منهم يفر لا يلوى على شىء حتى صدق عليهم المثل « انج سعد فقد هلك سعيد » .

هنالك بدأ الإسلام يأخذ طريقه إلى القلوب ، وينفذ إلى الأسماع ، وأخذ نجمه يتألق فى أطراف الجزيرة العربية ، بل ويتجاوزها إلى الأقطار الأخرى حتى كانت السنة السادسة من الهجرة إذ رأى المصطفى فى منامه أنه دخل الكعبة معتمراً ، فلما أصبح حدث أصحابه برؤيته صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالاستعداد للحج والاعتمار ، وأحضر البدن وقلدها ودعا أصحابه إلى أن يقلدوا بدنهم وأعلن للغادين والرائحين أنه خارج للحج والعمرة ، وأمر من معه وهم قرابة الألف والخمسمائة ألا يحملوا غير السيوف فى قرابها على عادة العرب فى تنقلاتهم السلمية ، وسار حتى كان بينه وبين مكة مسيرة يوم ، وإذا بقريش رغم علمهم بأنهم لم ينتصروا عليه فى حرب تأخذها العزة بالإثم ، وتأبى إلا أن تمنعه بالقوة ، فتعلن التعبئة فيرسل لهم النبى بديل بن ورقاء ومعه رجال من خزاعة ، وكانوا قد جاءوا ليسألوه عن سر مقدمه فيطلعهم على نيته فيرجعون إلى قريش ليبلغوها وجهة نظره صلى الله عليه وسلم ، وأنه لم يصد قاصدا للحرم فتأبى أن تصيخ لصوت الحق والنصفة ، فضلا عن أنهم سيأمنون على تجارتهم بعد أن فشلوا فى حروبهم كلها ، وعجزوا عن الوقوف

فى سبيل الدعوة

مكتبتنا العربية

كل ذلك والنبي يحلم عليهم ويصانعهم فتوفد له قريش عروة بن مسعود الثقفي وهو من حكامها الذين تأنس برأيهم وتعمل بمشورتهم فقال له يا محمد ، إن مكة بيضتك وإنك إن تفضضها بأهلك المقيمين بها بمن جمعت من أوشاب الناس ثم انصرف هؤلاء الأوشاب عنك كان العار الخالد ، لا ترضاه يامحمد وان اتصلت الحرب بينك وبين قريش ما اتصلت ، فصاح أبو بكر فى عروة منكرا أن ينصرف الناس عنه وباءت المفاوضة بالفشل ، وانصرف عروة وهو يعجب من مكانة المصطفى بين صحابته حتى حدث بذلك حيث يقول : لقد رأيت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه وإنى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه .

لم يكتف الرسول بذلك بل أوفد لقريش رسولا آخر ليدخل الأمن إلى قلوبهم والطمأنينة إلى نفوسهم ولكنها أساءت استقباله وعقلت جمله ، وأخرجت سرية لتباغت المسلمين وتأخذهم على غرة ولكن القائد العظيم لا تغفل عينه عن غدر قريش فتقع السريه كلها فى الأسر ويعفو عنها المصطفى رغبة فى السلم وإفصاحا عن حسن نيته وأنه إنما جاء معتمراً

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ثم أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه ليفاوض قريشا حتى تمكنه من أداء شعائر الله فتعتقله قريش ويشيع بين صفوف المسلمين بأنه قد قتل .

عند ذلك ينفذ صبر الحليم ويعلم أن قريشا لم تتعظ بالسوابق وأنها تأبى إلا أن تثيرها حربا عليه فيعقد مؤتمراً لأصحابه فيبايعونه على الموت فى سبيل الله وأنهم سيقتحمون على قريش دورها أو لا يبقى منهم رجل على ظهر الأرض وكانت البيعة تحت الشجرة التى سميت بشجرة الرضوان لما قارنها من خير كثير وفضل عظيم كان سببه تلك البيعة المباركة فى المكان المبارك عند الحديبية .

ولما أحست قريش بخطورة الموقف وأن محمداً وصحابته رغم أنهم لا يحملون من عدة القتال غير السيوف فى قرابها ولم ترهبها قريش فى ديارها وخافوا السوابق التى ذاقوا فيها القتل والأسر على يد هؤلاء الأطهار الأبرار فى غير موقعه هلعت قلوبها ثانية وثابت إلى رشدها وأفرجت عن عثمان وأرسلت سهيل بن عمرو ليفاوض النبي على الصلح .

مكتبتنا العربية

سماحة الاسلام مع مخالفيه

لفضيلة الأستاذ الشيخ المنشاوى محمود الخولى
المدرس بمعهد القاهرة

إذا نظرت الى القانون الإسلامى نظرة فاحصة ملؤها العظة والاعتبار ، وجدت أنه أحكم القوانين وضعاً ، وأنبلها قصدا ، وأجلها أثرا ، وأحفلها سماحة ويسرا ، وفى كل قاعدة من قواعده تجد الحكمة والرفق تسيران فيها جنبا الى جنب . وكلما زدته نظرا زادك إعجابا بحسنه وإكبارا لشأنه وإيمانا بأنه غذاء للأرواح وطب للقلوب والأجسام فى كل زمان ومكان ، ولا غرو فهو تشريع العليم الحكيم الذى أحاط بكل شىء علما ، وما من مخلوق إلا نفذت فيه إرادته ، وقبضت عليه قدرته ، وأحاط به قهره وسلطانه ، وتصرف فيه على مقتضى علمه المحيط وحكمته البالغة فليس بدعا أن يكون أعلم بما يصلح الأفئدة ويهذبها ويزكى الأرواح ويطهرها (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) .

ونحن الآن بصدد مادة من مواد هذا القانون تعرض لمعاملتنا مع قوم خالفونا فى الدين ولكنهم رضوا بالإقامة فى ظل الإسلام وحمايته على أن يلتزموا معنا خطة المسالمة فلا يعلنوا علينا حربا ، ولا يظاهروا عدوا يقاتلنا ونتعاون نحن وهم على جلب الخير ودفع العدوان ، وأخذ كل فريق منا على صاحبه بذلك عهدا مؤكدا وميثاقا غليظا .

ولبيان حق هؤلاء علينا نتلو المادة المقدسة الواردة فى قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » . فقد أرشدت الآية الكريمة إلى فضيلة البر بهم والتزام العدل معهم ، وختمت ذلك بما يجعل النفوس مسارعة إلى الإمتثال ، تواقة إلى تحقيق تلك الأهداف الشريفة ، حيث جعلت العدل مع هذه الطائفة معراجا للظفر

مكتبتنا العربية

بمحبة الله وجميل رعايته ، وليس أروع من هذا فى إثارة النفوس إلى القيام بالواجبات والإحسان فى أدائها وضمان الحقوق وصيانتها .

والحكمة فى أن الواجب علينا نحو تلك الفئة ورد التعبير عنه فى الآية بعدم النهى ، هى أنه ربما يطوف بالأذهان أن مخالفة هؤلاء لنا فى الدين تحظر البر بهم ، وتسوغ الاستخفاف بحقوقهم . فجاءت الآية الحكيمة على هذا الأسلوب للرد على ما عساه يخطر بالبال مبينة حيثية الحكم علينا بوجوب برهم والعدل معهم .

وما أوسع ما تدل عليه كلمة البر والعدل من صور شاملة ومظاهر رائعة .

لذلك قرر نبى الإسلام وصحابته لهذه الطائفة حقوقا تجعلها لبنات قوية فى بناء الأمة الإسلامية وترتبط بأفرادها ارتباط ألفة وتواد وتعاون وتآزر . فصاروا بهذا متمتعين بحريتهم الدينية آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم . وإليك نص عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأهل إيليا (أعطاهم الأمان لأنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم وسائر ملتهم لا تسكن كنائسهم ، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم .

وقد بلغ من رعاية الإسلام لأمرهم أن اشتهروا بين المسلمين ، بأهل الذمة ، والذمة المراد بها العهد ليكون ذلك بمثابة التزكية لكل مسلم أن يصون عهدهم ويرعى حقوقهم . وعلى أساس رعاية هذه الحقوق استنبط الفقهاء أحكاما كان الذمى فيها مساوياً للمسلم وإليك الأمثلة .

(١) قوله عليه الصلاة والسلام (لا يبع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه) قالوا البيع على بيع غير المسلم الداخل فى ذمة الإسلام كالبيع على بيع المسلم ، والخطبة على خطبته كالخطبة على خطبة المسلم كلاهما حرام

(٢) قوله صلوات الله وسلامه عليه) جار الدار أحق بشفقة الدار) ومعنى ذلك أن الجار إذا بيعت دار تلاصق داره ، وكان البيع لشخص آخر فللجار حق الشفعة فى هذه الدار ، ويطلب تملكها لنفسه ، والحكمة فى هذا أنه ربما يلحق الجار ضرر من المالك الجديد فثبت حق الشفعة للجار دفعا لهذا الضرر . قال الفقهاء إن حق الشفعة كما يثبت للجار المسلم يثبت أيضاً للجار الذمى لأنها سواء

مكتبتنا العربية

فى سبب الاستحقاق وهو الجوار ، وسواء أيضاً فى حاجة كل منهما إلى دفع الضرر عن نفسه .

(٣) قوله تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » أخذ بعض الأئمة من عمومها وأن نفس الذمى مساوية لنفس المسلم ، فكما يقتص من المسلم إذا قتل مسلما ، كذلك يقتل المسلم إذا قتل ذميا ، واستدلوا على ذلك أيضا بما روى أنه عليه السلام قتل مسلما بذمى وقال (أنا أحق من وفى بذمته) .

الى غير هـــذا من الوصايا الحازمة التى تطلب الرفق بهم وعيادة مرضاهم ، واحتمال الأذى فى جوارهم وصد الأيدى التى تحاول أن تمتد بالسوء إليهم .

ولقد أخذ أمراء الإسلام العادلون أنفسهم بهذه الآية الكريمة ، فكانوا ينصحون لولاتهم بالعدل بين جميع الخاضعين لسلطانهم ويخصون بالذكر فى النصيحة أهل الذمة ، وأجل مثال لهذا ما ورد فى كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه وهو يومئذ وال على مصر حيث قال له (وإن معك أهل ذمة وعهد وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم) وجاء فيه أيضا (وقد قال صلى الله عليه وسلم من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة . أحذر يا عمرو أن يكون رسول الله لك خصما فإن من خاصمه خصمه) .

لم تقف رعاية الإسلام لأهل الذمة بالعدل معهم بل وصل بهم الى منزلة رفيعة من العطف السابغ والعناية الفائقة ، رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يهوديا تبدو عليه مراسيم الحزن والكآبة ، فسأله عن سبب ذلك فقال الفقر يا أمير المؤمنين فرق له عمر وشعر بعظيم حقه عليه والتفت الى أصحابه وقال (ما أنصفتموه تأخذون منه الجزية فى أيام شبابه وقوته وتضيعونه فى أيام عجزه وشيخوخته اجعلوا له نصيبا فى بيت مال المسلمين) فجعلوا له نصيبا يقتات منه الى أن مات .

فهل بعد هذا سمو وجمال وروعة وجلال ؟ وهل خطر على عقول البشرية فى أرقى عهودها مثل هذه المعاملة الباهرة ؟

وهل ظفر المخالفول من السعادة بمثل ما ظفر به المقيمون فى ظلال الإسلام ؟

« إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

مكتبتنا العربية

هذا هو قيمة العهد فى نظر الإسلام فأين منه ما يصدر الآن من الدول الغاشمة التى تعاهد أمما مغلوبا على أمرها لمآرب آثمة ورغبات فاجرة فإذا قضت وطرها، تنكرت لها وماطلت فى حقوقها وعبثت بمصالحها وأموالها وأرواحها ونفضت من العهد يدها، فإذا ذكرت به وقفت على ربوة الاستهتار وقالت فى لهجة الماجن الفاجر. المعاهدات قصاصات ورق يتمك بها الضعفاء.

ومن عجيب أمر هذه الدول العاتية أنها قد تحرص على بقاء معاهدة جائرة تعلم أنها وقعت من الدولة الضعيفة تحت تأثير الضعف والإرهاب، وتكون هى من جانبها قد أسرفت فى الغدر بها وأمعنت فى انتهاك حرمتها، ولكنها تسعى جاهدة لبقاء شبحها حيث تبغى من ورائها احتلالا مستورا واستعمارا مقنعا.

ألا تبا لهؤلاء وتعسا فإنه مهما اشتد بأسهم. واستحكم سلطانهم، فلا بد أن يصرعهم بغيهم وتدور الدائرة عليهم «وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون».

لكن المعاملة العادلة الرحيمة الحازمة متى أوصى بها الإسلام مع مخالفيه قد أثمرت ثمارا طيبة مباركة فمكنت بعض الأفراد من دراسته، والوقوف على سماحته فبهرهم نوره. وراعهم جماله ففتحوا له قلوبهم فصار يغزو النفوس متحكما فيها. والضمائر مهيمنا عليها وأصبحوا له أعوانا مخلصين وجنودا باسلين.

أيها المسلمون: استمسكوا بهدى أسلافكم فى رعاية هذه الطائفة التى تقيم فى ديارنا وتربطنا بهم أواصر التعاون على النهوض بالوطن ودفع الأيدى الآثيمة التى تحاول أن تنقضه من أطرافه فافطنوا لهذا. واعلموا أن الاعتداء على هذه الطائفة المسالمة يعتبر نقضا لعهد الله ورسوله وغدرا وبغيا يوهى عزمنا ويفل حدنا ويظهرنا أمام عدونا المشترك متخاذلين متناحرين. فتذهب من نفسه هيبتنا ويهون عليه أمرنا ويطمعه انقسامنا فيبنى حصن الاستعمار بأنقاض فرقتنا، إذ هو جد حريص على أن يجد ثغرة بين صفوفنا لينفذ منها إلى حيث يريد. فعلينا أن نقف أمامه صفا واحدا كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا ليرهب جانبنا، ويذعن لحقنا. وعندئذ نبتهج بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

المتشاءون ...!

لحضرة الأستاذ عبد الحميد محمد الفضالي

المدرس بالمدرسة السعيدية

الناس فى هذه الحياة فريقان : فريق ذو مزاج منقبض ، وآخر ذو مزاج منبسط ، فريق متشائم ، وآخر متفائل ، فريق يرى ورد الحياة شوكا ، وآخر يرى شوكها وردا .

فأما الفريق الأول ، فهو ذلك الذى ينظر إلى الحياة بمنظار أسود يرى من خلاله كل ما فى الوجود بشعاً منظره ، سيئاً مخبره ، مخيفة رؤيته ، مفزعة طلعته .

هو ذلك الذى يرى فى البسمة بكاء ، وفى النعيم شقاء ، وفى الراحة عناء ، وفى الرحاب الواسعة ضيقا ، وفى جنات الدنيا جهنم وبئس القرار ، ومن يرد الله أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء ، فهو من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وهو من الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ، فهم المتعبون الأشقياء ، وهم الأموات فى ثوب الأحياء .

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا   كاسفا باله قليل الرجا

وهذا الفريق يبعد عليه تحقيق مأمل ، أو نجاح فى مهمة ، أو وصول إلى إدراك غاية : لأن تحقيق الآمال ، والنجاح فى المهام العظام ، والوصول إلى إدراك الغايات ـ يحتاج إلى ثبات وصبر ، ودأب وسعى لا يعرف الضجر والملل ، ولا يلوذ بالخمول والكسل ، ولا يخلد إلى الراحة والدعة والقنوع . والمتشائم قلق لا يثبت على حال ، ولا يصبر على عمل ، ولا يثابر على نشاط ، ولا يستمر فى سعى محمود .

كريشة فى مهب الريح طائرة   لا تستقر على حال من القلق

فهذا الفريق من الناس ليس من شأنه أن يفيد العالم فى نواحى الحياة العاملة المنتجة السامية العظيمة القدر الجليلة الأثر ، فليس فيه من ابتكر طائرة أو اخترع

مكتبتنا العربية

مذياعا ، أو اهتدى إلى دواء ناجع لداء عضال ، أو كشف أرضا مجهولة ، أو أظهر آثارا مطمورة ، وليس منه من كان مصدر علم نافع أو معارف فاضلة أو هداية وإرشاد ، وليس منه من تزعم أمة فأعاد إليها حرية سلبت وكرامة انتهبت ، وعزة بادت وسيادة ضاعت ؛ فليس منه إلا من يقدم رجلا فى عمل ويؤخر أخرى إحجاما عن ذلك العمل ، وقد يعيش طول حياته كلاً على وطنه وعالة على بلاده ، وخطرا يتهدد أمته بشر المصائب وفادح الخطوب .

أليس المتشائم المتطير يائسا من رحمة الله ؟ ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ؛ فكيف نطلب الحياة من فاقدها وفاقد الشيء لا يعطيه ؟! أم كيف نفتظر المجد ممن لا يفقه له معنى ولا يقيم له وزنا ؟

إن شر النفوس نفس قنوط تتمنى قبل الرحيل الرحيلا
وترى الشوك فى الورد وتعمى أن ترى فوقها الندى إكليلا
هو عبء على الحياة ثقيل من يظن الحياة عبئا ثقيلا
والذى نفسه بغير جمال لا يرى فى الوجود شيئا جميلا

إن فقد التفاؤل والأمل يقعد المتشائم اليائس عن العمل ، فلا يصيب نجاحا فى دنيا العاملين ، ولا ينال انتصارا فى دار المجدين ، وتراه إذا فشل فى أمر قد لا يتحول إلى غيره ، لأن الأمور قد انسدت مسالكها فى وجهه ، وليس لديه صبر يفتح ماغلق من أبوابها ، والدنيا على رحبها أضيق فى عينه من سم الخياط ، ومن أجل ذلك لا يحرك نفسه فيها ، فيخسرها ، ويقعد بعد ذلك ملوما محسورا ساخطا على الأيام والليالى وليس للأيام والليالى ذنب ولكن الذنب لمن ظلم نفسه فيها فحرمها الخير وكان هو علة الفساد والتقصير والانحطاط والتأخير والإفراط والتفريط ؛ فوت على نفسه الفرصة حتى عادت عليه غصه ، وضيع أوائل الأمور فالتوت عليه أعجازها :

إذا ضيعت أول أى أمر أبت أعجازه إلا التواء

وحسب المتطير المتشائم ما يصيبه من عنت ، وما يناله من تعب ، وما يلقاه من آلام ، بتخلفه عن قافلة الحياة التى تجد السير وتسرع الخطا فى قطع الطريق ، فيبقى وحده متخلفاً يائساً بائساً يعيش فى دنيا الهموم والأحزان ؛ وقد يصير

مكتبتنا العربية

أضحوكة الضاحكين ، وسخرية الساخرين ، وهزأة الهازئين ، وتلطمه من ليست ذات سوار ، وينفر منه الصحاب والخلان ، وينفض عنه الأصدقاء والأعوان ، حتى لا يعديهم ، وإن من النفوس ما يعدي :

عدوى البليد إلى الجليد سريعة   كالنار توضع فى الرماد فيخمد

إن التشاؤم يجر على المتشائمين آلاما لا تطاق ، ويجلب عليهم متاعب لا تحتمل ويوقد فى نفوسهم نيرانا تأكل القلوب وتشيب النواصي وتخترم الأجسام ، ويحول الأعواد الناضرة الزاهية ، والزهرات المتفتحة الباسمة ، إلى أخرى ذابلة محطمة عابسة تذروها الرياح ؛ ولا ينفع المتشائمين ذكاء متوقد ، ما دامت الإرادة منحلة ، والنفس مشتتة ، والقلب حزينا ، والصدر منقبضا .

ومن الذين جنى عليهم تشاؤمهم ونغص عليهم حياتهم ، وكدر عليهم صفوهم وحطم أعصابهم ابن الرومى الشاعر المشهور ، فقد بلغ من تشاؤمه أن كان القبح عنده شرا أو نذيرا بالشر ، فلا يرى الأحدب أو غيره من الخارجين عن سواء الخلقة إلا انقبضت نفسه ، وأسرع إليه ما يلازم الانقباض من التوجس والحذر والوجوم :

واسم (جعفر) قد يذكره بالجوع والفرار ، و (الخان) قد يذكره بالخيانة فتنقبض لذلك نفسه ، وينغص عليه عيشه ، وهكذا حتى صارت عيشته ضنكا ، وحياته جحيما .

وقد بلغ من تشاؤمه أن عزف عن الناس جميعا ، وساء ظنه بهم ، وآثر العزلة عنهم ، والبعد عن أخيارهم وأشرارهم ؛ لأن الأخيار والأشرار أصبحوا سواء عنده فى قلة الإنصاف ، وما كان يدنو منهم إلا مضطرا :

ذقت الطعوم فما التذذت براحة   من صحبة الأخيار والأشرار

أما الصديق فلا أحب لقاءه   حذرا لقلى وكراهة الإعوار

وأرى العدو قذى فأكره قربه   فكرهت هذا الخلق عن أعذار

أأحب قوما لم يحبوا ربهم   إلا لفردوس لديه ونار

وما عسى أن تكون الحياة بعد ذلك عند رجل بعد عن الأصدقاء وبعد عنه الأصدقاء ، وقعدت به عزلته وتشاؤمه وقلة حيلته ، فسبقه من هم دونه ذكاء وعلما وفهما وأدبا ممن لازمهم حسن الطالع وسعد الحظوظ .

مكتبتنا العربية

وقد تختل أعصاب المرء من هؤلاء المتشائمين ، فإذا هو جسور عنيد معتسف للأخطار ، هجام على المصاعب ، لا يبالى العظائم ولا يحذر العواقب ، وهذا طراز من المتشائمين عجيب ، فيؤدى بهم تشاؤمهم وتطيرهم وانقباضهم وفرط إحساسهم الى الثورة والإندفاع ، وركوب متن الشطط والورود بأنفسهم موارد الهلاك والخسران ، كما يفعل الشباب الطائش فى زماننا ، وفى كل زمان ومكان ، فيحاول أن يفرض سلطانه الجائر على الناس فرضا رضى الناس أم كرهوا ويتحكم فى مصائر الناس قبل الناس أم سخطوا ؛ وقد تمتد يده الآثمة الى قتل الزعماء وقادة الرأى ، وأبطال السياسة والفكر ؛ لأنهم يخالفونه فى الرأى والعقيدة ، أو النزعة والسعى ، أو الفكر والعمل . وهذا اختلال فى الأعصاب مريب واستبداد عجيب وحمق غريب ؛ فليس لكائن من كان أن يتحكم فى آراء الناس وعقائدهم ونفوسهم ومبادئهم وأرواحهم وأفكارهم ، فينفعل لتغييرها ووأدها ، أو محوها وإزالتها بدون أن يكون له فى ذلك حجة وبرهان :

حرام على الأفكار فى عصرنا الحجر أما كل إنسان بآرائه حر

ومن هذا اللون من التشاؤم العنيف ثورات الأمم والجماعات ، فهى حين تثور قد اختلت أعصابها هذا النوع من الإختلال الثائر المجتاح ، وقد تكون ثوراتها من أجل مطالب خاصة أو عامة لا يقرها عقل ولا يؤازرها دليل ولا يسندها منطق صحيح .

وقد حدثنا التاريخ أن الحاكم بأمر الله الفاطمى أصيب به فأرداه . . . كما أصيب به الوليد الأموى من قبل فجنى عليه وأهلكه : حدث له مرة أن فتح المصحف الشريف ، فوقعت عينه على قوله تعالى : « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . » فما كاد يقرؤها حتى غلا دمه وطغى عليه تطيره واستبد به فرط إحساسه المتحفز المندفع الذى لا يخشى عاقبة ولا يخاف نهاية ـ فمزق المصحف وأهان كتاب الله ، وقال بيتيه المشهورين :

تهددنى بجبار عنيد فهأنذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقنى الوليد

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء السادس ـــ المجلد الثالث والعشرون

الموضـــوع	بقـــلم	صفحة
الدين مطمأن النفس	« حضرة صاحب العزة الأستاذ مدير المجلة	٤٧٥
التفسير	« فضيلة الأستاذ الشيخ حامد محيسن ...	٤٧٨
الأزهر ـ الجامعة القديمة الحديثة	« « « « محمد عبد الله دراز ...	٤٨١
مركز المسلمين فى العالم	« « « « محمد محمد المدنى... ...	٤٨٥
أبو زيد الدبوسى	« « « « عبد الله المراغى ...	٤٨٩
الجهاد حيرٌ كله	« « « « محمد عبد التواب ...	٤٩٣
الشعر والحروب الصليبية	« « « « رياض هـــلال ...	٤٩٧
تنظيم الحرب والسلام	« « « « محمود فياض	٥٠٢
الفدائيون والمناكل الدولية ...	« « « « ابراهيم على شعوط ...	٥٠٦
الصدق والكذب	« « « « ابراهيم أبو الخشب ...	٥١١
سورة الأنفال	« « « « محمود جميلة	٥١٤
أبو محجن	« « « « محمد محمد خليفة	٥١٨
من طرائف القرآن الكريم ...	« « « « عبدالغنى عوض الراجحى	٥٢١
مطالعات	« حضرة الأستاذ سعيد زايد	٥٢٤
نقيصتان	« فضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى ...	٥٢٩
تقدير ورجاء	« « « « حسن حسن حنبل ...	٥٣٤
تحية شعرية	« « « « يوسف النجار	٥٣٦
تونسة ابن زيدون	« « « « حسن جاد	٥٣٧
خلفاء بنى أمية	« « « « عبد الحميد المسلوت ...	٥٤٢
البابية والبهائية	« حضرة الأستاذ عمر طلعت زهران ...	٥٤٦
أثر التفرق فى الاندلس	« فضيلة الأستاذ الشيخ السيد شريف ...	٥٤٩
الاستحياء من الله	« « « « محمد ابراهيم الحفناوى ...	٥٥٣
ورقة ابن نوفل	« « « « محمد عبدالمنعم خفاجى ...	٥٥٥
غزوة الحديبية	« « « « محمـــود المدنى ...	٥٥٧
سماحة الإسلام مع مخالفيه ...	« « « « المنشاوى عبود الخولى	٥٦١
المتشائمون	« « « « عبد الحميد محمد الفقالى	٥٦٥

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى